

مذكرات مستر همفر
الجاسوس البريطاني في البلاد الاسلامية

مذكرات مستر همفر
الجاسوس البريطاني في البلاد الاسلامية

نقله الى العربية
الدكتور ج. خ.

مذكرات مستر همفر

مذكرات مستر همفري

الجنرال البريطاني في البلاد الإسلامية

نقله إلى العربية

الدكتور ج. ج. خ

كانت دولة بريطانيا العظمى تفكر منذ وقت طويل
حول إبقاء الامبراطورية وسعة كبيرة كما هي عليها الآن
من اشراق الشمس على بحارها حين تشرق وغروب الشمس
في بحارها حين تغرب فإن دولتنا كانت صغيرة بالنسبة إلى
المستعمرات الكثيرة التي كنا نسيطر عليها في الهند وفي الصين
وفي الشرق الأوسط وغيرها . صحيح إننا لم نكن نسيطر
سيطرة فعلية على أجزاء كبيرة من هذه البلاد لأنها كانت
بيد أهاليها إلا أن سياستنا فيها كانت سياسة ناجحة وفعالة
وكانت في طريق سقوطها بأيدينا كلية فكان اللزم علينا
أن نفكر مرتين :

١ - مرة لأجل إبقاء السيطرة على ما تم السيطرة
عليه فعلاً .

٢ - ومرة لأجل ضم ما لم تتم السيطرة عليه فعلاً إلى
ممتلكاتنا ومستعمراتنا .

وقد خصصت وزارة المستعمرات لكل قسم من أقسام هذه البلاد لجاناً خاصة لأجل دراسة هذه المهمة وكنت أنا من حسن الحظ مورد ثقة الوزير منذ دخلنا هذه الوزارة ، وعهد إلي بمهمة (شركة الهند الشرقية) التي كانت مهمتها في الظاهر تجارية بحثة وفي الباطن تعزيز سبل السيطرة على الهند وعلى طرقها الموصلة إلى هذه الأراضي الشاسعة شبه القارة .

وكانت الحكومة واثقة من الهند حيث القوميات المختلفة والأديان المنتشرة ، واللغات المتباينة والمصالح المتضاربة ، كما كانت الحكومة واثقة من الصين حيث أن البوذية والكنفوشوسية الغالبة على هذه البلاد لم تكونا بحيث يخشى من قيامهما لأنها دينان ميثان يهتان بجانب الروح فلا صلة لهما بجانب الحياة فكان من المستبعد أن يسري الشعور بالوطنية في أهالي هاتين المنطقتين ، ولذلك لم يكن يقلق بال حكومة بريطانيا العظمى هاتان المنطقتان (نعم) لم تكن غافلين عن إمكان تطور المستقبل ولذا كنا نضع الخطط الطويلة الأمد لأجل سيطرة المتفرقة والجهل ، والفقر ، وأحياناً المرض - أيضاً - على هذه البلاد وكنا لا نجد صعوبة في تغطية نوايانا بغطاء من المشتبهات النفسية لأهالي هذه البلاد براق في ظاهره متين في واقعه فكنا بذلك نطبق المثل البوذي القديم (دع المريض يشعر بحبه للدواء وإن كان مرّ المذاق) .

لكن الذي كان يقلق بالنا هي البلاد الإسلامية ، فإننا

وإن كنا قد عقدنا مع الرجل المريض (١) . عدة من المعاهدات كلها كانت في صالحنا ، وكان تقديرات خبراء وزارة المستعمرات أن الرجل يلفظ نفسه الأخير في أقل من قرن ، وكذلك كنا قد عقدنا مع حكومة الفرس - سرّاً - عدة معاهدات ، وكنا قد زرنا ألبواسيس والعملاء في هذين البلديسن ، وكانت الرشوة ، وفساد الإدارة ، وانشغال ملوكها بالنساء الحسنات قد نخرت في جسم هذين البلدين إلا أنا لم نكن نثق بالتائج وذلك لعدة أسباب أهمها :

١ - قوة الإسلام في نفوس أبنائه فإن الرجل المسلم يلقى قياده إلى الإسلام بكل صلابة حتى أنك ترى الإسلام في نفس المسلم بمنزلة المسيحية في نفوس القساوسة والرهبان ، وترهق نفوسهم ولا تخرج المسيحية منها وكان المسلمون (الشيعة) في البلاد الفارسية أخطر حيث إنهم يرون المسيحية كفاراً نجسين فإن المسيحي عند الشيعي بمنزلة القنذارة المتعضنة في يد أحدنا حيث يصرف همه في إزالته ، وذات مرة سألت عن أحدهم : لماذا تنظرون إلى المسيحي بهذا المنظار ؟ قال : إن نبي الإسلام كان رجلاً حكماً وأراد أن يطوّق كل كافر بدائرة من الضغط الأدبي لكي يحس بالضييق والوحشة ليكون من أسباب هدايته إلى الله وإلى الدين الصحيح كما أن الحكومة إذا أحست من إنسان

(١) يقصد الامبراطورية المنيانية .

الخطر طوقته بدائرة من المقاطعة حتى يرجع إلى الطاعة والالتقياد ، والنجاسة التي ذكرتها هي نجاسة معنوية لا مادية ظاهرة وهي ليست خاصة بالمسيحية بل تشمل كل كافر حتى المجوس الذين هم بازسيون من القديم هم نجس في منطق الإسلام .

(قلت له) حسناً ولكن لماذا المسيحيون نجس وهم يعتقدون بالله والرسالة ويوم المعاد ؟ قال : لأمرين (الأول) أنهم ينكرون نبينا (محمداً) وهذا يعني أنهم يقولون أن محمداً كاذب ونحن في قبال هذا الاتهام نقول أنتم أيها المسيحيون نجس طبقاً لقانون العقل الحاكم بأن من آذاك فلك أن تؤذيه (الثاني) أنهم ينسبون إلى أنبياء الله نسباً غير لائقة مثل أنهم يقولون : ان المسيح كان يشرب الخمر ، وكان ملعوناً لأنه علق على الحشبة .

(قلت له) في دهشة : لا يقول المسيحيون هكذا قال : أنت لا تعلم أنهم في (الكتاب المقدس) عندهم يقولون ذلك . فسكت وأنا واثق بأن الرجل كان كاذباً في الأمر الثاني وان كان صادقاً في الأمر الأول ، ولم أرد أن أطول معه النقاش لأنني خشيت أن تثار حولي شبهة (حيث كنت أنا في الزي الإسلامي ، وكنت أنجنب الزاوية الحادة دائماً) .

٢ - ان الإسلام كان ذات يوم دين حياة وسيطرة

ومن الصعب عليك أن تقول للسادة أنتم عبيد ، فإن نخوة السيادة تدفع بالإنسان إلى التعالي معها كان في ضعف وانحطاط ولم يكن بإمكاننا أن نزيّف تاريخ الإسلام حتى نشعر المسلمون بأن السيادة التي حازوها كانت بفعل ظروف خاصة قد ولّت إلى غير رجعة .

٣ - لم تكن نأمن من تحرك الوعي في نفوس (آل عثمان) و (حكام فارس) بما يوجب فشل خططنا الرامية إلى السيطرة ، صحيح أن الحكومتين قد بلغتا من الضعف مبلغاً كبيراً كما ألمحنا إليه إلا أن وجود حكومة مركزية يواليها الناس ويبيدها السيادة والمال والسلاح يجعل الإنسان غير آمن .

٤ - كنا شديدي القلق من علماء المسلمين ، فعلماء الأزهر ، وعلماء العراق ، وعلماء فارس كانوا أمنع سداً أمام آمالنا فإنهم كانوا في غاية الجهل بمبادئ الحياة العصرية وقد جعلوا نصب أعينهم (اللجنة التي وعدهم بها القرآن) فكانوا لا يتنازلون قدر شعرة عن مبادئهم ، وكان الشعب يتبعهم والسلطان يخشاهم خوف الفئران من الهرة ، صحيح أن أهل السنة كانوا أقل اتباعاً لعلمائهم ، فإنهم يقيمون الولاء بين السلطان وبين شيخ الإسلام ، وأهل الشيعة كانوا أشد ولاءً للعلماء لأنهم يخلصون الولاء للعالم فقط ، ولا يعيرون السلطان أهمية كافية ، إلا أن هذا الفرق لم يكن

ليخفف شيئاً من القلق الذي كان يساور وزارة المستعمرات بل كل حكام بريطانيا العظمى .

وقد عقدنا المؤتمرات الكثيرة لنلتئم الحلول الكافية لهذه المشاكل المقلقة لكننا في كل مرة لم نجد أمامنا إلا الطريق المسدود ، وكانت التقارير التي تأتينا بانتظام عن العملاء والجواسيس مخيبة للآمال ، كما كانت نتائج المؤتمرات كلها صفراً أو تحت الصفر ، لكننا لم نكن ندع المجال لليأس فينا ، حيث عودنا أنفسنا النفس الطويل ، والصبر اللامتناهي .

وأذكر ذات مرة عقدنا مؤتمراً حضره الوزير بشخصه وأكبر القساوسة ، وعدد من الخبراء ، كان عددنا جميعاً عشرين شخصاً ، وطال النقاش أكثر من ثلاث ساعات ، وانتهينا بدون أية نتيجة ، إلا أن القس قال : (لا تنزعجوا فإن المسيح لم يصل إلى الحكم إلا بعد ثلاثمائة سنة من الاضطهاد والتشريد والقتل له ولا تباعه ، وعسى أن ينظر إلينا المسيح نظرة من ملكوته فيمنحنا إزالة الكفار عن مراكزهم ولو بعد ثلاثمائة سنة ، فعلينا أن نسلح بالإيمان الراسخ والصبر الطويل واتخاذ كافة الوسائل والسبل للسيطرة ونشر المسيحية في ربوع المحمدين ولو وصلنا إلى النتيجة بعد قرون ، فإن الآباء يزرعون للأبناء) .

وحتى انه - ذات مرة - عقد في الوزارة مؤتمر حضره

ممثلون من كل من بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا وكان مؤتمراً في أعلى المستويات وكان الحاضرون لفيماً من الهيئات الدبلوماسية ورجال الدين وكان من حسن حظي أن حضرت ذلك المؤتمر لعلاقتي الوطيدة بالوزير وعرض المؤتمر مشاكل المحمدين عرضاً وافياً ، ذكروا فيه سبل تمزيقهم وسلخهم عن عقيدتهم وإرجاعهم إلى حضيرة الإيمان كما رجعت إسبانيا إليها بعد قرون من غزو المحمدين البرابرة لها لكن النتائج لم تكن بالمستوى المطلوب ، وقد كتبت أنا كلما دار من نقاش في ذلك المؤتمر في كتابي (إلى ملكوت المسيح) .

إنه من الصعب ان تقلع جذور شجرة امتدت إلى شرق الأرض وغربها ، لكن الإنسان يجب عليه أن يذل الصعاب مها كان الثمن ، ان المسيحية لم تأت إلا لتنتشر ، وقد وعدنا بذلك السيد المسيح نفسه ، أما محمد فقد ساعده ظرف انحطاط العالمين الشرقي والغربي وظرف الانحطاط إذا ولتى فقد يذهب معه أيضاً ما رافقه من ويلات ومن حسن الظن أن الأمر قد انعكس فقد انحط المحمديون وارتفعت بلاد المسيح فآن الوقت لأن نطلب الثأر ونسترجع ما فقدناه طيلة قرون ، وها هي دولة قوية عصرية هي بريطانيا العظمى تأخذ بزمام هذه المبادرة المباركة .

الأول إلا سنوات قلائل ، يستغرق الأمر الثاني أضعاف ذلك الوقت ، فإن المفروض أن أنعلم اللغة بكافة دقائقها حتى لا يثار حولي شبهة .

ولكنني لم أكن أقلق هذه الجهة لأن المسلمين عندهم تسامح ورحابة صدر وحسن ظن كما علمتهم بيهم فالشبهة عندهم لا تكون كالشبهة عندنا ، ومن طرف آخر فإن حكومة الأتراك لم تكن في المستوى اللائق لكشف الجواسيس والعملاء فقد كانت حكومة آخذة في الضعف والهزال مما يؤمن جانبنا .

وبعد سفرة ضمنية وصلت إلى آستانة وسميت نفسي (محمداً) وأخذت أحضر المسجد (مكان اجتماع المسلمين لعبادتهم) وراقني النظام والنظافة والطاعة التي وجدتها عندهم ، وقلت في نفسي : لماذا نحارب نحن هؤلاء البشر ؟ ولماذا نعمل من أجل تمزيقهم وسلب نعمتهم ؟ هل أوصانا المسيح بذلك ؟ لكنني رجعت فوراً واستنشرت من هذا التفكير الشيطاني ، وجددت العزم على أن أشرب إلى آخر الكأس .

وقد التقيت هناك بعالم طاعن في السن اسمه (أحمد أفندم) وكان من طيب النفس ورحابة الصدر وصفاء الضمير وحب الخير ، ما لم أجده في أحسن رجال ديننا ، وكان الشيخ يحاول ليله ونهاره في أن يتشبه بالنبي محمد ، فكان يجعله

أوفدني وزارة المستعمرات عام (١٧١٠) إلى كل من مصر والعراق ، وطهران ، والحجاز ، والآستانة ، لأجمع المعلومات الكافية التي تعزز سبل تمزيقنا للمسلمين ، ونشر السيطرة على بلاد الإسلام ، وبعث في نفس الوقت تسعة آخرين من خيرة الموظفين لدى الوزارة ممن تكتمل فيهم الحيوية والنشاط والتحمس لسيطرة الحكومة إلى سائر الأجزاء للإمبراطورية ، وسائر بلاد المسلمين ، وقد زودتنا الوزارة بالمال الكافي ، والمعلومات اللازمة ، والجرائط الممكنة ، وأسماء الحكام والعلماء ورؤساء القبائل ، ولم أنس كلمة السكرتير حين ودعنا باسم السيد المسيح وقال : (ان على نجاحكم يتوقف مستقبل بلادنا فابدوا ما عندكم من طاقات للنجاح) .

فأخبرت أنا ميمماً وجهة الاستانة مركز الخلافة الإسلامية وكانت مهمتي مزدوجة ، وحيث كان من المفروض أن أكمل تعلمي للغة التركية لغسة المسلمين هناك فقد كنت تعلمت شيئاً كثيراً من ثلاث لغات في لندن اللغة التركية ، واللغة العرب (لغة القرآن) واللغة الفقهوية لغة أهل فارس ، لكنني فعلم اللغة شيء والسيطرة على اللغة حتى يتمكن الإنسان أن يتكلم مثل لغة أهل البلاد شيء آخر ، فبينما لا يستغرق

المثل الأعلى ، وكلما ذكره فاضت عيناه بالدموع ، ومن حسن الحظ أنه لم يسئلي - حتى مرة واحدة - عن أصلي ونسبي وإنما كان يخاطبني (محمد أفندي) ويعلمني ما كنت أسئله ويحنو علي حنواً كبيراً حيث عرف اني ضيف في بلادهم جئت لأن أعمل ولأجل أن أكون في ظل السلطان الذي يمثل النبي محمداً (فقد كانت هذه حجتي في البقاء في الآستانة) .

وكنت قد قلت للشيخ : لاني شاب قد مات أبي وأمي وليس لي أخوة ، وتركوا لي شيئاً من المال ففكرت أن أكتسب وأن أتعلم القرآن والسنة فجئت إلى مركز الإسلام لأحصل على الدين والدنيا فرحب بي الشيخ كثيراً وقال لي ما نصه - وقد كتبه بلفظه - ان الواجب أن نحترمك لعدة أسباب :

١ - لأنك مسلم والمسلمون إخوة .

٢ - ولأنك ضيف وقد قال رسول الله ﷺ (أكرموا الضيف) .

٣ - ولأنك طالب علم والإسلام يؤكد على إكرام طالب العلم .

٤ - ولأنك تريد الكسب وقد ورد نص بأنه (الكاسب حبيب الله) .

وقد اعجبت أنا بهذه الأمور أيما إعجاب ، وقلت في نفسي يا ليت كانت المسيحية تعني مثل هذه الحقائق النيرة ، لكنني تعجبت كيف أن الإسلام في هذه الرفعة شمله الضعف والانهطاط على أيدي هؤلاء الحكام المغرورين وهؤلاء العلماء الجهلة بالحياة .

قلت للشيخ : لاني أريد أن أتعلم القرآن المبين ، فرحب الشيخ بالطلب وأخذ يعلمني من سورة (الحمد) ويفسر لي المعاني وقد كنت أجد مشقة في النطق ببعض ألفاظها ، وأحياناً كانت المشقة متنهاها ، وأذكر أنني لم أتعلم النطق بجملة (وعلى أمم ممن معك) إلا بعد تكرارها عشرات المرات في ظرف اسبوع ، حيث قال لي الشيخ السلازم عليك الادغام حتى تتولد ثمان ميمات ، وكيفما كان فقد قرأت القرآن عنده في مدة سنتين كاملتين من أوله إلى آخره ، وكان إذا أراد تعليمي توضاً وضوء الصلاة وأمرني بالتوضيء كما كان هو وأنا نجلس إلى جهة القبلة .

والجدير بالذكر أن أذكر أن (الوضوء) عند المسلمين جملة من الاغسال فأولاً يغسلون الوجه وثانياً اليد اليمنى من الأصابع إلى المرفق وثالثاً اليد اليسرى من الأصابع إلى المرفق ورابعاً مسحون الرأس وخلف الأذنين والرقبة ، وخامساً يغسلون الرجلين .

ويقولون : الأفضل أن يدير الشخص الماء في فسه ،

وأن يسحب الماء إلى الأعلى في أنفه ، قبيل البدء في الوضوء .

وقد كنت انزعج انزعاجاً كبيراً من (المسواك) وهي عودة يدخلونها في أفواههم لأجل تنظيف الأسنان قبل الوضوء ، فقد كنت أعتقد أن هذه العودة تضر الأسنان والقم ، وكانت أحياناً تخرج القم ويخرج الدم منه ، لكنني كنت مجبوراً أن أفعل ذلك لأنها عندهم سنة مؤكدة أمر بها نبيهم محمد وهم يذكرون لها فضائل كثيرة .

لقد كنت أيام إقامتي في (الآستانة) أنام عند خادم المسجد لقاء ما أعطيه من المال وكان انساناً عصبي المزاج واسمه (مروان أفندي) وهو اسم أحد أصحاب الرسول محمد ، وكان الخادم يعتز بهذا الاسم المبارك ، وكان يقول لي : ان رزقت ولدأ سمته (مروان) لأنه من كبار الشخصيات المجاهدين في الإسلام .

وكنت اتعشى هناك عند الخادم حيث كان يهيء لي الطعام ، وأيام الجمعة (وهي عيد المسلمين) لم أكن أذهب إلى العمل ، أما سائر الأيام فقد كنت أذهب إلى نجار هناك اشتغل عنده لقاء أجر زهيد كان يدفعه لي اسبوعياً ، وحيث كان عملي في فترة الصباح فقط فقد كان يجري لي نصف أجور سائر عماله ، وكان اسم النجار (خالد) وكان يثرثر في أوقات فراغه عن فضائل (خالد

ابن الوليد) الفاتح الإسلامي الذي صحب محمداً النبي وأبلى في الإسلام بلاءً حسناً. لكنه كان يحز في نفسه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما تولى الخلافة عزل خالد بن الوليد .

وكان خالد صاحب المحل سيء الأخلاق عصبي المزاج إلى أبعد حد وكان يطمئن مني اطميناناً لم أدر سببه ، ولعله وثق بي حيث كنت سامعاً مطيعاً له ، لا أناقشه في شؤنه الدينية ، ولا في شؤن دكانه ، وكان إذا خلى بي طلب مني أن يلوط بي وكان هذا العمل عندهم من أشد المنوعات - كما قال لي الشيخ أحمد - إلا أن خالداً كان لا يهتم بالشريعة في باطن أمره وان كان في ظاهر أمره ملتزماً بالتظاهر عند رفقاته بها ، وكان يحضر صلاة الجمعة أما سائر الأيام لا أعلم هل كان يصلي أم لا ؟ لكنني كنت امتنع عن اعطائه رغبته ، وأظن أنه كان يعمل ذلك مع بعض آخر من عماله ، حيث كان أحد العاملين شاباً جميلاً من (سلانيك) وكان يهودياً قد أسلم ، فكان يصحبه معه أحياناً إلى خلف المحل الذي كان مخزناً لأخشابه ، ويتظاهران انهما يذهبان هناك لإصلاح المخزن ، لكنني كنت أعلم انهما يذهبان لقضاء الحاجة

كنت اتغدى في الدكان ، ثم أذهب للصلاة في المسجد ثم أبقى في المسجد إلى وقت العصر ، فإذا فرغت من صلاة العصر ذهبت إلى دار (الشيخ أحمد) وأبقى معه مدة

ساعتين أتعلّم عنده القرآن ، واللغة التركية ، واللغة العربية
وفي كل جمعة كنت أدفع له زكاة ما حصلت عليه في
الاسبوع من المال ، وفي الحقيقة الزكاة كانت رشوة مني
له لاستمرار علاقتي به ، ولأجل أن يعلمني أفضل تعليم
وكان هو لا يقصّر في تعليمي القرآن ومبادئ الإسلام
ودقائق اللغتين العربية والتركية .

ولما علم الشيخ أحمد اني أعزب طلب إليّ أن يزوجني
إحدى بناته لكنني أبيت ذلك بحجة اني (عنيّن) لا أملك
ما يملكه الرجال ، ولم أبدأ له هذا العذر إلا بعد أن أصرّ
وكاد أن يتفصم معي علاقتي من أجل أنه كان يقول :
الزواج سنة الرسول ، وقد قال الرسول (من رغب عن
سنتي فليس مني) وحينذاك لم أجد بداً من إظهار هذا
المرض (المكذوب له) فافتنع الشيخ وعادت العلاقة كما
كانت من الود والصفاء .

بعد اتمام سنتين من مكّي في (الآستانة) استأذنت
للعودة إلى وطني ولكن الشيخ لم يأذن قائلاً : لماذا الرجوع ؟
ان الآستانة فيها ما تشتهي الأتفس وتلد الأعين وقد جمع
الله فيها بين الدنيا والدين ، وأردف : انك قلت سابقاً
انه مات أبوك وأملك وليس لك أخوة فاجعل الآستانة وطنك ..
وكان الشيخ يصر عليّ في البقاء لانسه بي ، وكنت
أنا أيضاً أنست به أنساً كبيراً ، لكن الواجب الوطني كان

يجبرني بالرجوع إلى لندن لتقديم تقرير مفصل عن الأوضاع
في عاصمة الخلافة ، ولأتزوّد بأوامر جديدة حول مهنتي .

وقد جرت العادة - طيلة مكّي في الآستانة - أن
أقدم كل شهر تقريراً عن حالي وعن التطورات وعمسا
شاهدته إلى وزارة المستعمرات ، وأذكر ذات مرة قدمت
تقريراً ضمنته ما أراد معي صاحب المحل من عمل اللواط ،
فجاء الرد أن لا مانع من ذلك إذا كان في هذا الفعل
تسهيل الوصول إلى الهدف ، ولما قرأت الجواب دارت بي
الأرض الفضاء وفكرت كيف لا يستحي رؤسائي من الأمر
بمثل هذا العمل الشنيع ، لكنه لم يكن لي بد من شرب
الكأس إلى السائلة فبقيت في وظيفتي دون أن أنبس
ببنت شفة .

وفي يوم الوداع مع الشيخ انهمرت عيناه بالدموع ،
وودعني قائلاً : الله معك يا ولدي ، وإذا عدت إلى هذا
البلد وأنا ميت فاذكرني ، وسوف فلتقي عند رسول الله
ﷺ في المحشر ، وفي الواقع اني تأثرت تأثراً بالغاً وجرت
دموعي حارة ، لكن الواجب كان فوق العواطف .

كان الرفاق التسعة الآخرون تلقوا أوامر من الوزارة

لخصورهم إلى لندن كما تلقيت أنا أيضاً لكن من سوء
الحظ لم يرجع منا إلا ستة فقط .

أما الأربعة الآخرون فقد صار أحدهم مسلماً وبقي في
مصر - كما أخبرنا بذلك السكرتير - لكن السكرتير أظهر
ارتياحه بأنه لم يفش السر كما التحق أحدهم بروسيا وقد
كان هذا من أصل روسي وكان السكرتير يبدي قلقاً شديداً
حوله ، لا لأنه التحق بالوطن الأم ، ولكن من أجل ان
السكرتير كان يظن ان الرجل كان جاسوساً من قبل الروس
في وزارة المستعمرات فلما انتهت مهمته رجع إلى بلاده ،
وكان الثالث منهم مات في (عمارة) بلد طرف (بغداد)
على أثر (وباء) اجتاح البلاد هناك على ما أخبرنا السكرتير
بذلك ، أما الرابع فلم يعلم عن مصيره إذ راقبته الوزارة
حتى وصوله إلى (صنعاء) في (اليمن) من بلاد العرب
وكانت تقاريره ترسل بانتظام إلى الوزارة فترة سنة ، لكنها
انقطعت بعد ذلك ، وكلما حاولت الوزارة الاطلاع على
أحواله لم تحصل على شيء ، وقد كانت الوزارة تعتبر
خسارة أربعة من عشرة كارثة حيث كنا نحسب لكل انسان
حساباً دقيقاً ، فإننا أمة قليلة العدد كبيرة المهام ، نفقد
كل انسان من هذا الطراز كان كارثة عندنا .

وبعد أن سمع السكرتير أوليات تقاريري ، أرسلني إلى
مؤتمر عقد لأجل الاستماع إلى تقاريرنا - نحن الستة - وقد

اجتمع حشد كبير من وزارة المستعمرات برئاسة الوزير
نفسه لاستماع تقاريرنا ، وقدم زملائي تقارير أولية عن
المهمة التي أوكلت إليهم ، كما قدمت أنا تقريراً التقطت فيه
رؤس الأقسام ، واستحسن أعمال الوزير والسكرتير وبعض
الحاضرين ، لكنني لاحظت اني كنت الثالث من حيث
جودة العمل ، حيث كان الزميلان (جورج بلكود)
(هنري فانس) في الدرجتين الأولى والثانية من حيث
جودة العمل .

لقد كنت نجحت نجاحاً باهراً في تعلم التركية والعربية
وتعلم القرآن والشريعة ، لكنني لم أحرز نجاحاً في تقديم
تقرير يدل الوزارة على مواقع الضعف في الدولة العثمانية .
وبعد ما انفض المجلس الذي دام ست ساعات ألفت نظري
السكرتير إلى هذه النقطة من الضعف (قلت له) ان مهمتي
كانت تعلم اللغة والشريعة والقرآن ، ولذا فإنني لم أبذل
وقتاً كافياً لغير ذلك وسوف أكون عند حسن ظنكم في
السفرة القادمة ان أوليتم ثقتم بي (قال) السكرتير لاشك
أنك ناجح لكنني آمل منك أن تحرز قصب السبق في
هذه الحلية .

ان مهمتك (يا همفر) في السفارة القادمة أمران

١ - ان تجد نقطة الضعف عند المسلمين ، والتي
نتمكن بها من ان ندخل في جسمهم ونبدد أوصالهم ،

فإن أساس النجاح على العدو هو هذا .

٢ - ان تكون أنت المباشر لهذا الأمر إذا ما وجدت نقطة الضعف ، فإن قدرت على المهمة فسوف اطمئن بأنك أنجح العملاء ، وستستحق وسام الوزارة .

بقيت في لندن لمدة ستة أشهر وتزوجت بابنة عمي (ماري شواي) التي كانت تكبرني سنة ، فكان عمري إذ ذاك اثنتين وعشرين سنة بينما كان عمرها ثلاثاً وعشرين سنة وكانت فتاة متوسطة الذكاء بارعة الجمال وثقافتها عادية وقضيت أجمل أيام حياتي معها تلك المدة وحملت مني وقد كنت انتظر الضيف الجديد بفارغ الصبر وإذا بالأوامر الصارمة تصدر من الوزارة في ان أتوجه إلى اقليم (العراق) البلد الغربي الذي استعمرته الخلافة منذ زمن طويل .

وقد أسفت لهذه الأوامر في وقت انتظر فيه ولدي ، لكن اهتمامي ببلدي وحيي للشهرة بين زملائي كانا يفوقان عواطف الزوجية والولد ولذا لم أتردد في القبول رغم إلحاح زوجتي أن ارجيء الأمر إلى بعد ولادتها ، ويوم فارقتها بكيت أنا وبكت هي بكاءً مرأ ، وقالت لي : لا تنقطع عني بإرسال الرسائل كما سأخبرك أنا أيضاً عبر الرسائل بعشنا الذهبي الجديد وهذه الكلمة كانت عاصفة على قلبي حتى انني صممت أن ألقى السفارة لكسي تملك عواطفني

وودعتها وخرجت إلى الوزارة لأحصل على الارشادات الأخيرة .

وبعد ستة أشهر وجدت نفسي (في البصرة) من (العراق) وهو بلد عشائري وأهله مختلطون من السنة والشيعة الجناحين الإسلاميين كما انهم مختلطون من العرب والفرس وفيهم قلة من المسيحيين .

ولأول مرة في طول حياتي التقى بالشيعة وبالفرس ولا بأس أن أذكر شيئاً عن الشيعة والسنة ، فالشيعة هم ينتسبون إلى علي بن أبي طالب وهو صهر رسولهم علي بنه (فاطمة) وكان في نفس الوقت ابن عم الرسول أيضاً وتقول الشيعة ان رسولهم محمداً عين علياً خليفة من بعده وقال بأن علياً وأولاده الأحد عشر خليفة بعد خليفة .

واني أظن ان الحق مع الشيعة في (خلافة علي والحسن والحسين) لأن الثابت من التاريخ الإسلامي - حسب مطالعاتي - أن علياً كان يمتاز بصفات نفسية عالية تؤهله للقيادة ، ولا استبعد ان يكون الرسول (محمد) قال بأن الحسن والحسين أيضاً إمامان ، وهذا ، لا ينكره أهل السنة أيضاً ، لكنني أشك في نفس الوقت بأن أولاد الحسين (التسعة) أيضاً عندهم الرسول (محمد) خلفاء له ، إذ كيف يعلم (محمد) المستقبل ، لأنه قد مات والحسين طفل ، فكيف يعلم بأنه سيكون للحسين أولاد ويكونون

مسلسلين إلى تسعة (نعم) لو كان (محمد) رسولاً حق
لكان من الممكن أن يعلم كل ذلك بإرشاد من الله كما كان
المسيح يخبر بالمستقبل ، لكن نبوة محمد مشكوكه عندنا
نحن المسيحيين .

ان المسلمين يقولون : بأن القرآن دليل نبوة (محمد)
لكنني قرأت القرآن فلم أجد فيه دليلاً ، انه لا شك كتاب
رفيع ، بل هو أرفع مستوى من التوراة والإنجيل فيه
دساتير وأنظمة وأخلاقيات وغير هذه ، لكن هل هذا
وحده كفيلاً بالدلالة على صدق (محمد) .

إنني متحير في أمر (محمد) أشد التحير ، ان رجلاً بدويًا
لا يقرأ ولا يكتب كيف يمكنه أن يأتي بهذا الكتاب
الرفيع ، وهو شخصياً يكون ذا خلق وذكاء لم يعهد مثلها
في أي عربي دارس فكيف بالعربي البدوي الذي
لم يقرأ ولم يكتب ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر :
فهل يكفي مثل ذلك للتدليل على نبوته ؟

لقد كنت دائم التطلع لكي أتعرف على هذه الحقيقة ،
وطرحت - ذات مرة - هذا الموضوع مع أحد القساوسة
في لندن ، لكنه لم يأت بجواب مقنع وإنما تكلم عن تعصب
وعناد ، كما أنني مررت فتحت هذا البحث مع الشيخ أحمد
في تركيا فلم يأت بجواب مقنع لي ، لكن من الحق أن
أقول : اني لم أقدر أن أتكلم مع الشيخ بصراحة خوفاً من

أن ينكشف أمري ، أو يشك في .
وعلى أي حال : فإنني أقدر (محمد) تقديراً كبيراً ،
انه لا شك كان من طراز أنبياء الله الذين نقرأ عنهم في
الكتب ، لكنني غير مقتنع بنبوته إلى الآن ، ولو فرضنا
أنه لم يكن نبياً ، لكن من المستحيل ان يعتقد الانسان الذي
يحترم ضميره انه مثل سائر العباقرة ، انه لا شك كان
فوق العباقرة ، وأرفع من الأذكيا

أما أهل السنة فانهم يقولون : بأن المسلمين رأوا - بعد
الرسول - بأن أبا بكر ثم عمر ثم عثمان أصلح للخلافة من
علي ، ولذلك تركوا أمر الرسول (محمد) واتخذوا
هؤلاء خلفاء للرسول .

ان مثل هذا النزاع موجود في كل دين وفي المسيحية
بصورة خاصة لكني لا أعلم ما هو المبرر لبقاء هذا النزاع ،
فقد مات (علي وعمر) وعلى المسلمين - (ان كانوا
عقلاء) - ان يفكروا في هذا اليوم لا في الماضي السحيق .
ذات مرة ذكرت لبعض رؤسائي في الوزارة اختلاف
السنة والشيعة وقلت له : انهم لو كانوا يفهمون الحياة
لتركوا النزاع ووجدوا كلمتهم ، فنهزني الرئيس قائلاً :
الواجب عليك ان تزيد الشقة لا ان تحاول جمع كلمة
المسلمين .

وبهذه المناسبة ان السكرتير قال لي في إحدى الجلسات

التي اجتمعت معه قبل سفرتي إلى (العراق) : أعلم يا (همفر) أن هناك نزاعات طبيعية بين البشر منذ أن خلق الله (هايل وقايل) وستبقى هذه النزاعات إلى أن يعود المسيح .

١ - فن نزاعات لونية .

٢ - ومن نزاعات قبلية .

٣ - ومن نزاعات إقليمية .

٤ - ومن نزاعات قومية .

٥ - ومن نزاعات دينية .

ومهمتك في هذه السفارة ان تعرف على هذه النزاعات بين المسلمين وتعرف البركان المستعد للانفجار منها ، وتزود الوزارة بالمعلومات الدقيقة حول ذلك وان تمكنت من تفجير النزاع كنت في قمة الخدمة لبريطانيا العظمى .

فإننا نحن البريطانيين لا يمكننا العيش في الرفاه إلا بإلقاء الفتن والنزاع في كافة المستعمرات ، كما اننا لا يمكننا تحطيم السلطان العثماني إلا بإلقاء الفتن بين رعاياها ، وإلا فكيف تتمكن أمة قليلة العدد من ان تسيطر على أمة كبيرة العدد ، فاجتهد بكل قواك ان تجد الثغرة وان تدخل من الثغرة ، وليكن على علمك ان (سلطة الترك) و (سلطة الفرس)

قد ضعفنا فليس عليك إلا ان تثير الشعوب ضد حكامها ، كما ثارت الثوار في كل التاريخ ضد الحكام ، فإذا انشقت كلمتهم وتفرقت قواهم ضمنا استعمارهم من أسهل طريق .

٤

لما وصلت إلى البصرة ذهبت لتوتي إلى أحد المساجد وكان المسجد لعالم من أهل السنة عربي الأصل واسمه (الشيخ عمر الطائي) فتعرفت عليه وتلاطفت معه ، لكن الرجل شك بي من أول لحظة وأخذ يحقق من أصلي ونسبي وسائر خصوصياتي ، وأظن أن لوني ولجتي هما قادا الشيخ إلى الشك لكنني تمكنت من الخروج عن المسأزق بأني من أهالي (اغدير) في (تركيا) واني تلميذ (الشيخ أحمد) في الآستانة ، وكنت نجاراً في محل (خالد) ... وإلى آخر ما هنالك من المعلومات التي حصلتها مدة اقامتي في (تركيا) وتكلمت جملاً باللغة التركية ، وانتبهت أن الشيخ أشار بعينه إلى أحد الحاضرين مستفسراً منه هل اني أتكلم التركية صحيحاً أم لا ؟ وأشار المسؤل عنه بعينه بالإيجاب وفرحت إذ تمكنت من جلب قلب الشيخ ، لكن ظني كان سراياً خادعاً ، فقد علمت بعد أيام أن الشيخ ينظر إلي بنظر الريبة ، ويفظني جاسوساً لتركيا ، حيث

تبين لي فيما بعد أن للشيخ علي خلاف مع (الوالي) المعين من قبل السلطان وإن بينهما تبادل الاتهام وسوء الظن .

وعلى كل فلم أجد بداً من أن انسحب عن مسجد (الشيخ عمر) إلى (خان) كان محل الغرباء والمسافرين ، وقد استأجرت غرفة في الخان ، وكان صاحب الخان رجلاً أحمق يسلب راحتي كل صباح ، فقد كان يأتي أول الفجر إلى باب الغرفة ويطرقة بعنف لاقوم لصلاة الصبح ، وكنت أنا مجبوراً لمسايرته فكنت أقوم وأصلي صلاة الصبح ، ثم يأمرني بقراءة القرآن إلى طلوع الشمس ولما قلت له أن قراءة القرآن ليست واجبة فلماذا هذا الإصرار قال : بأن من ينام في هذا الوقت يجلب الفقر والنكبة للخان ولأهل الخان وحيث لم يكن لي بد من اجابته إذ هددني بالطرده إن لم أعمل بما يقول صرت مجبوراً على أن أصلي أول الآذان ثم أتلو القرآن أكثر من ساعة كل يوم .

ولم تكن المشكلة لتنتهي إلى هذا الحد ، فلقد جاءني صاحب الخان - واسمه (مرشد أفندم) - ذات يوم وقال : انك منذ أن استأجرت مني الغرفة ابتليت أنا بالمشاكل ولا أراها إلا من طالعتك وقد فكرت في أن سبب ذلك أنك أعزبت والعزب شؤم ، فإما أن تتزوج وإما أن تخرج من الخان ، قلت أنني لا أملك المال لكي أتزوج (ونخشيت أن أقول له أنني عني حيث لم أكن استبعد أن يريد تجربة عورتي

هل أصدق أم لا ؟ إذا اعتذرت بهذا العذر فإن (مرشد أفندم) كان من هذا الطراز .

قال لي (الأفندم) يا ضعيف الإيمان ألم تقرأ قول الله تعالى (إن يكونوا فقراء يغفهم الله من فضله) ووقعت في حيرة شديدة من أمري ماذا أفعل ؟ وبماذا أجيبه ؟ وأخيراً قلت له : حسناً كيف أتزوج بلا مال ؟ وهل أنت مستعد أن تقرضني المال الكافي أو أن تجد لي زوجة بلا مهر ؟

فكر (الأفندم) قليلاً ثم رفع رأسه ليقول : أنني لا أفهم كلامك وأخبرك بين أن تتزوج إلى أول شهر رجب المرجب أو أن تخرج من الخان .

وكان لم يبق لي أول شهر رجب إلا خمسة وعشرون يوماً حيث كنا في الخامس من شهر جمادى الثانية .

وبالمناسبة فإن أسماء الأشهر الإسلامية بهذا التسلسل (محرم ، صفر ، ربيع الأول ، ربيع الثاني ، جمادى الأولى ، جمادى الثانية ، رجب ، شعبان ، رمضان ، شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة) وأشهرهم حسب رؤية الهلال ولا تزيد أيامها عن (٣٠) يوماً ، ولا تنقص عن (٢٩) يوماً .

وأخيراً رضخت لأمر (الأفندم) ووجدت مكاناً عند

(نجار) تعافت معه أن أعمل كعامل عنده بأجرة زهيدة ويكون أكلي ونومي أيضاً عنده ، وقبل أن ينتهي الشهر خرجت من الحان لألقي رحلي في دكان (النجار) وكان رجلاً شهماً شريفاً عاملي كأحد أولاده وكان اسمه (عبد الرضا) وكان شيعياً فارسياً من أهالي (خراسان) . وقد انتهزت فرصة وجودي عنده أن أتعلم منه اللغة الفارسية ، وكان الشيعة العجم يجتمعون عنده كل عصر ويتكلمون بكل أقسام الكلام من سياسة إلى اقتصاد وكانوا يتهمون على حكومتهم كثيراً كما يتهمون على الخليفة في (الآستانة) أما إذا جاء (زبون) لا يعرفونه انقطعوا عن الكلام فوراً وأخذوا يتكلمون في قضاياهم الشخصية .

واني لا أعلم كيف وثقوا بي هذه الثقة ، لكني علمت أخيراً أنهم ظنوا أنني من أهالي (اذربايجان) حيث علموا أنني أعرف اللغة التركية وساعدتهم على هذا الظن لوني المائل إلى البياض ، اللون الغالب على أهالي (اذربايجان) .

وهنا على هذا الحال كان تعرفت على شاب كان يتردد على هذا الدكان يعرف اللغات الثلاث التركية والفارسية والعربية كان في زي طلبة العلوم الدينية وكان يسمى بـ (محمد بن عبد الوهاب) وكان شاباً طموحاً للغاية عصبي المزاج ، ناقماً على الحكومة العثمانية ، أما حكومة فارس فلم يكن له شأن بها ، وكان سبب صداقته مع

صاحب المحل (عبد الرضا) ان الاثنين كانا ناقين على الخليفة واني لا أعلم من أين كان هذا الشاب يعرف اللغة الفارسية مع أنه كان من أهل السنة وكيف صادق مع (عبد الرضا الشيعي) ؟ إلا أن كلا الأمرين لم يكن غريباً ففي البصرة يلتقي السني بالشيعي وكأنهما أخوة كما يعرف كثير من القاطنين في البصرة اللغتين الفارسية والعربية ، وأن كثيراً منهم يعرف أيضاً اللغة التركية .

كان (محمد عبد الوهاب) شاباً منحرراً بكل معنى الكلمة لا يتعصب ضد الشيعة - كما كان هو الحال عند غالب أهل السنة حيث يتعصبون ضد الشيعة حتى أن جماعة من مشايخ أهل السنة يكفرون الشيعة ويقولون أنهم ليسوا مسلمين - كما أنه لم يكن يرى أي وزن لاتباع المذاهب الأربعة المتداولة بين أهل السنة ويقول : انها ما أنزل الله بها من سلطان .

وقصة المذاهب الأربعة هي : أن السنة من المسلمين بعد أكثر من قرن من موت نبيهم نبغ فيهم أربعة علماء هم (أبو حنيفة) و (أحمد بن حنبل) و (مالك) و (محمد بن ادريس) فألزمهم بعض الخلفاء بأن يقلدوا أحد هؤلاء الأربعة وأنه ليس لعالم من العلماء أن يجتهد في القرآن وسنة الرسول وهذا في الحقيقة كان غلقاً لباب فهمهم وإلى هذا التحريم للاجتهد يعزى جمود المسلمين ،

وقد انتهزت الشيعة هذه الفرصة لتشر مذهبهم على أوسع نطاق ، حتى أنه بعد أن كان عدد الشيعة لا يبلغ عشر عدد السنة أخذ عددهم في ازدياد فأصبح عددهم بعدد أهل السنة ، ومن الطبيعي أن يكون كذلك فإن الاجتهاد تطوير في فقه الإسلام وتجديد لفهم القرآن والسنة على ما يتطلبه حاجات الزمان كالسلاح المتطور ، بخلاف حصر المذهب في طريقة خاصة وغلق باب الفهم وسدّ السمع عن نداء حاجات الزمان فإنه كالسلاح البالي ، وإذا كان لك سلاح بال ولعدوك سلاح متطور لا بد وان يغلب عدوك عليك إن عاجلاً أو آجلاً (واني أظن أنه سيأتي يوم قريب يفتح عقلاء أهل السنة باب الاجتهاد وإلا فإني أبشر أهل السنة بأنه لا تمضي قرون إلا وتكون السنة أقلية وتكون الشيعة أكثرية .

وكان الشاب الطموح (محمد) يقلد فهم نفسه في فهم القرآن والسنة ، ويضرب بآراء المشايخ ، لا مشايخ زمانه والمذاهب الأربعة فحسب بل بآراء أبي بكر وعمر أيضاً عرض الحائط إذا فهم هو من الكتاب على خلاف ما فهموه ، وكان يقول « ان الرسول قال اني مختلف فيكم الكتاب والسنة ولم يقل اني مختلف فيكم الكتاب والسنة والصحابة والمذاهب » ، ولذا فالواجب اتباع الكتاب والسنة مها كانت آراء المذاهب والصحابة والمشايخ مخالفة لذلك

وقد جرى بينه وبين أحد علماء فارس الذي كان ضيفاً عند (عبد الرضا) على مائدة الطعام التي ضيفنا عليها (عبد الرضا) في داره ، وكان محمد ، والشيخ جواد القمي - وهذا هو اسم ذلك العالم الشيعي - وأنا وبعض أصدقاء صاحب البيت ، أقول جرى بين (محمد) و (الشيخ) حوار عنيف لم أحفظ كله وإنما حفظت مقتطفات عنه .

قال له (القمي) : إذا كنت أنت متحرراً ومجتهداً كما تدعي فلماذا لا تتبع علياً كالشيعة ؟ (قال محمد) : لأن علياً مثل عمر وغيره ليس قوله حجة وإنما الحجة الكتاب والسنة فقط (قال القمي) : ألم يقل الرسول (أنا مدينة العلم وعلي بابها) إذاً ففرق بين علي وبين باقي الصحابة (قال محمد) إذا كان قول علي حجة فلماذا لم يقل الرسول (كتاب الله وعلي بن أبي طالب) ؟ (قال القمي) بل قال حيث قال ﷺ (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) (وعلي) سيد العترة فانكرو (محمد) أن يكون الرسول قال ذلك ، لكن (الشيخ القمي) جاء إليه بادلة مقنعة حتى سكت (محمد) ولم يجر جواباً ، لكن (محمداً) اعترض عليه وقال : إذا قال الرسول (كتاب الله وعترتي) فأين سنة الرسول ؟ قال (القمي) سنة الرسول هي شرح لكتاب الله ، فلما قال الرسول

(كتاب الله وعترتي) أراد (كتاب الله بشرحه الذي هو السنة) (قال محمد) أليس كلام العترة أيضاً شرحاً لكتاب الله ؟ فما الحاجة إليهم ؟ (قال القمي) لما مات الرسول احتاج الأمة إلى شرح القرآن شرحاً يطابق حاجيات الزمن ، ولذا فالرسول أرجع الأمة إلى الكتاب كأصل ، وإلى العترة كشرّاح له فيما يتجدد من حاجات الزمن .

لقد أعجبت أنا بهذا البحث أياً إعجاب ، ورأيت أن (محمداً) الشاب أمام (القمي) الشيخ الطاعن في السن كالعصفور في يد الصياد لا يتمكن تحركاً .

لقد وجدت في (محمد الوهاب) ضالتي المنشودة ، فإن تحرره وطموحه وتبرمه من مشايخ عصره ورأيه المستقل الذي لا يتم حتى بالخلفاء الأربعة أمام ما يفهمه هو من القرآن والسنة كان أكبر نقاط الضعف التي كنت أتمكن أن أتسلل منها إلى نفسه ، وأين هذا الشاب المغرور من ذلك الشيخ التركي الذي درست عنده في تركيا فإنه كان مثال السلف كالجبل لا يحركه شيء ، انه كان إذا أراد أن يأتي باسم أبي حنيفة (وكان الشيخ حنفي المذهب) قام وتوضوء ثم ذكر اسم أبي حنيفة ، وإذا أراد أن يأخذ كتاب (البخاري) - وهو كتاب عظيم عند أهل السنة يقتبسونه أياً تقديس - قام وتوضأ ثم أخذ الكتاب .

أما (الشيخ محمد الوهاب) فكان يزدرى بأبي حنيفة

أما ازدراء ، وكان يقول عن نفسه (اني أكثر فهماً من أبي حنيفة) وكان يقول (ان نصف كتاب البخاري باطل) .

لقد عقدت بيني وبين (محمد) أقوى الصلات والروابط ، وكنت أنفخ فيه باستمرار وأبين له أنه أكثر موهبة من (علي - وعمر) وأن الرسول لو كان حاضراً لاختارك خليفة له دونها وكنت أقول له دائماً (أمل من تجديد الإسلام على يدك فإنك المنقذ الوحيد الذي يرجى به انتشال الإسلام من هذه السقطة) .

وقد قررت مع (محمد) أن نناقش في تفسير القرآن على ضوء أفكارنا الخاصة لا على ضوء فهم الصحابة والمذاهب والمشايخ ، وكنا نقرأ القرآن ونتكلم عن نقاط منها - كنت أقصد من ورائها إيقاع (محمد) في الفخ - وكان هو يسترسل في قبول آرائي ليظهر نفسه بمظهر المنحرف وليجلب تقبي أكثر فأكثر .

قلت له ذات مرة : الجهاد ليس واجباً ، قال : وكيف وقد قال الله (جاهد الكفار) قلت الله يقول (جاهد الكفار والمنافقين) فإذا كان الجهاد واجباً فلماذا لم يجاهد الرسول المنافقين (قال) جاهدهم الرسول بلسانه (قلت) - إذاً فجهاد الكفار أيضاً واجب باللسان (قال) لكن الرسول حارب الكفار (قلت) حرب الرسول كان

دفاعاً عن النفس حيث ان الكفار أرادوا قتل الرسول
فدفعهم ، فهز (محمد) رأسه علامة للرضا .

وقلت له ذات مرة (متعة النساء جائزة) قال : كلا
(قلت) فإله يقول (فما استمتعتم به منهن فاتوهن
أجورهن) (قال) عمر حرم المتعة قائلاً (متعتان كانتا
على عهد رسول الله وأنا أحرمها وأعاقب عليهما) قلت :
أنت تقول أنا أعلم من عمر فلماذا تتبع عمر ، ثم إذا قال
عمر : إنّه حرمها وان الرسول حللها فلماذا تترك رأي
القرآن ورأي الرسول وتأخذ برأي عمر ؟ فسكت ، ولما
وجدت سكوته دليل الاقتناع ، وقد أثرت فيه الغريزة
الجنسية (ولم تكن له إذ ذاك زوجة) قلت له : ألا نتحرر
أنا وأنت ونتخذ (متعة) نستمتع بها ؟ فهز رأسه علامة
الرضا ، وقد اغتنمت أنا هذا الرضا أكبر اغتنام ، وقررت
موعداً لآتي إليه بامرأة ليتمتع بها ، وكان همي أن اكسر
خوفه من مخالفة الناس ، لكنه اشترط عليّ أن يكون الأمر
سراً بيني وبينه وأن لا أخبر المرأة باسمه ، فذهبت فوراً
إلى بعض النساء المسيحيات اللاتي كن مجندات من قبل
وزارة المستعمرات لافساد الشباب المسلم ، ونقلت لها كامل
القصة ، وجعلت لها اسم (صفية) وفي يوم الموعد ذهبت
بالشيخ محمد إلى دارها ، وكانت الدار خالية إلا منها
فقرأنا أنا والشيخ صيغة العقد لمدة أسبوع ، وأمهرها الشيخ

نقداً ذهبياً ، فأخذت أنا من الخارج و (صفية) من
الداخل تراوح على توجيه الشيخ محمد عبد الوهاب .

وبعد ما أخذت (صفية) من محمد كل ما أخذ ،
وتذوق محمد حلاوة مخالفة أوامر الشريعة تحت غطاء الاجتهاد
والاستقلال في الرأي والحريّة ، وفي اليوم الثالث من (المتعة)
أجريت مع (محمد) حواراً طويلاً عن (عدم تحريم
الخمير) وكلما استدل بالآيات القرآنية والأحاديث زيفتها
وقلت له أخيراً : لقد صحح أن معاوية ويزيد وخلفاء بني
أمية وخلفاء بني العباس كانوا يتعاطون الخمير فهل من
الممكن أن يكون كل أولئك على ضلال وأنت على صواب ،
لأنهم لا شك كانوا أفهم لكتاب الله وسنة الرسول مما يدل
على أنهم لم يفهموا التحريم وإنما فهموا الكراهة والإعاقبة ،
وفي الأسفار المقدسة لليهود والنصارى لإباحة الخمير ، فهل
يعقل أن يكون الخمير حراماً في دين وحلالاً في دين ،
والأديان كلها من عند إله واحد ؟ ثم ان الرواة رووا
ان عمر شرب الخمير حتى نزلت الآية (فهل أنتم متتهون)
ولو كانت الخميرة حراماً لعاقبه الرسول ، فعلم عقاب
الرسول دليل الحلّة .

أخذ يسمعي (محمد) بكل قلبه ، ثم تنهد وقال : بل
تثبت في بعض الأخبار ان عمر كان يكسر الخمير بالماء
ويشربها ، ويقول ان سكرها حرام ، لا ، اذا لم تكن تسكر ،

ثم أردف الشيخ قائلاً (وكان عمر صحيح الفهم في ذلك) لأن القرآن يقول (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) فإذا لم تسكر الخمر لم تفعل هذه الأمور التي ذكرت في الآية وعليه فلا نهى عن الخمر إذا لم تكن مسكرة .

اخبرت (صنية) بما جرى ، وأكدت عليها أن يسقى الشيخ في هذه المرة خمرة مغلظة ففعلت وأخبرتني بعد ذلك أن الشيخ شرب حتى الثمالة وعربد وجامعها عدة مرات في تلك الليلة وقد رأيت أنا آثار الضعف والنحول عليه غداة تلك الليلة ، وهكذا استوليت أنا وصنية على الشيخ استيلاءً كاملاً .

ويا لها من روعة تلك الكلمة الذهبية التي قالها لي وزير المستعمرات حين ودعته (أنا استرجعنا إسبانيا من الكفار (يقصد المسلمين) بالخمر والبغاء ، فلنحاول أن نسترجع سائر بلادنا بهاتين القوتين العظيمتين) .

ذات مرة تكلمت مع الشيخ عن (الصوم) وقلت له : إن القرآن يقول (وإن تصوموا خير لكم) ولم يقل أنه واجب عليكم ، فالصوم بنظر الإسلام مندوب وليس بواجب ، لكنه قاوم الفكرة وقال (يا محمد تريد أن تخرجني من ديني) قلت له : يا وهاب إن الدين هو صفاء القلب وسلامة الروح وعدم الاعتداء على الآخرين ، ألم يقل النبي (الدين الحب) ؟

والم يقل الله في القرآن الحكيم (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ؟ فإذا حصل للإنسان اليقين بالله وباليوم الآخر ، وكان طيب القلب نظيف العمل كان من أفضل الناس لكنه هز رأسه علامة للنفي وعدم الارتياح .

ومرة أخرى قلت له : (الصلاة ليست واجبة) قال : وكيف ؟ قلت لأن في القرآن يقول الله (وأقم الصلاة لذكرك) فالقصد من الصلاة ذكر الله تعالى ، فلك أن تذكر الله تعالى عوضاً عن الصلاة (قال) وهاب : نعم سمعت أن بعض العلماء كانوا يذكرون الله تعالى في أوقات الصلاة عوضاً عن الصلاة ، ففرحت لكلامه أما فرح ، واخذت انفخ في هذا الرأي حتى ظننت أنني استوليت على لبه ، وبعد ذلك وجدته لا يهتم بأمر الصلاة أحياناً يصلي وأحياناً لا يصلي ، خصوصاً في الصباح فإنه كان يترك الصلاة غالباً ، حيث كنت اسهر معه إلى بعد منتصف الليل غالباً فكان منهوك القوى عند الصباح فلا يقوم للصلاة .

وهكذا اخذت اسحب رداء الإيمان عن عاتق الشيخ شيئاً فشيئاً وأردت ذات مرة أن اناقش حول (الرسول) لكنه صمد في وجهي صموداً كبيراً ، وقال لي : ان تكلمت بعد ذلك حول هذا الموضوع قطعت علاقتي بك وخشيت أن ينهار كل ما بنيت ، من أجل ذلك أحجمت عن الكلام حول الرسول .

لكن اخذت في إذكاء روحه في ان يكون لنفسه طريقاً
ثالثاً غير السنة وغير الشيعة وكان يستجيب لهذا الإيجاء كل
استجابة لأنه كان يملأ غروره وتحرره .

وبفضل (صفية) التي دامت علاقتها معه بعد الأسبوع
ايضاً في (متعات جديدة) - تمكنا في الاخذ بقيادة (الشيخ)
كاملاً .

وذات مرة قلت للشيخ : هل صحيح ان النبي آخي
بين اصحابه ؟ قال : نعم ، (قلت) هل أحكام الإسلام
وقتيه ام دائمة ؟ (قال) بل دائمة لأن الرسول يقول (حلال
محمد حلال الى يوم القيامة وحرام محمد حرام الى يوم القيامة)
(قلت) اذن فلنواخي انا وأنت ، فتواخينا ، ومنذ ذلك الحين
كنت أتبعه في كل سفر وحضر ، وكنت اهتم لأن تأتي الشجرة
التي غرستها ثمارها التي صرفت لأجلها أئمن اوقات شبابي .

وكنت اكتب بالنتائج إلى الوزارة كل شهر مرة ، كما
كانت عادتي منذ ان خرجت من لندن - وكان الجواب يأتيني
بالتشجيع الكافي ، فكنت انا ومحمد نسير في الطريق الذي
رسمناه نخطى سريعة ولم اكن افارقه لا في السفر ولا في
الحضر ، وكانت مهمتي ان اربي فيه روح الاستقلال والحرية
وحالة التشكيك وكنت ابشره دائماً بمستقبل زاهر وأمدح
فيه روحه الوقادة : ونفسه النقادة ولفقت له ذات مرة (حلماً)
وقلت له : (لاني رأيت البارحة في المنام رسول الله - ووصفته

بما كنت سمعته من خطباء المنابر - جالساً على كرسي وحوله
جماعة من العلماء لم أعرف أحداً منهم وإذا بي اراك قد دخلت
ووجهك يشرق نوراً فلما وصلت الى الرسول قام الرسول إجلالاً
لك وقبل بين عينيك وقال لك (يا محمد) انت سميتي ووارث
علمي والقائم مقامي في ادارة شؤون الدين والدنيا (فقلت
أنت) يا رسول الله اني اخاف ان أظهر علمي على الناس ؟
قال رسول الله لك : (لا تخف انك انت الأعلى) .

فلما سمع محمد بالتمام كاد ان يطير فرحاً ، وسئلني مكرراً
هل انت صادق في رؤياك ؟ وكلما سئل أجبته بالإيجاب حتى
اطمئن ، وأظن انه صمم من ذلك اليوم على اظهار امره .

٥

في هذه الأيام جئني الأوامر من لندن على ان أتوجه
الى (كربلاء) و (النجف) مهوى قلوب المسلمين الشيعة
ومركز علمهم وروحانيتهم ولهذين البلدين قصة طويلة .

أما قصة (النجف) فانها تبتدئ من يوم دفن فيها (علي)
رابع الخلفاء عند أهل السنة وأول الخلفاء عند أهل الشيعة ،
فإن مدينة تبعد عن النجف قدر (فرسخ) - اي مسيرة ساعة
بالرجل - تسمى بـ (الكوفة) كانت مقر خلافة علي ، فلما
قُتل علي دفنه ولداه (الحسن والحسين) خارج الكوفة في

هذا المكان الذي يسمى الآن (بالنجف) ثم اخذت نجف
تزدهر بينما اخذت الكوفة في الحراب ، واجتمع في النجف
عدد من علماء الشيعة وصارت فيها بيوت وأسواق ومدارس
وهي الآن مركز علماء الشيعة والخليفة في الاستانة يهيم ويحترم
جانبهم لعدة امور :

١- ان حكومة الشيعة في فارس تساندهم واذا مس الخليفة
كرامتهم توترت العلاقات بين الحكومتين واحياناً تصل الى
حد الحراب .

٢- ان عشائر كثيرة حول (النجف) تساند العلماء ،
وهي مسلحة ، وسلاحهم وان كان ليس على المستوى الرفيع
ولا تنظيم لهم الا التنظيم العشائري ، لكن يعني منازلة الخلافة
للعلماء ان تدخل مع تلك العشائر في معارك دامية ، وحيث
لا ضرورة قصوى تلجئ الحكومة الى كبح جماح العلماء نذرهم
وشأنهم

٣- ان اولئك العلماء مراجع لكل المسلمين الشيعة في
العالم من (هند) (وافريقيا) وغيرها فإذا مست الحكومة
كرامتهم هاجت الشيعة في كل مكان .

(وأما قصة كربلاء) فانها تبتدء منذ قتل فيها سبط
رسول الله (الحسين بن علي ، وابن قاطمة بنت الرسول)
فقد دعا أهل العراق الحسين ليأتيهم من (المدينة - الحجاز)
ليتخذوه خليفة ، لكنه لما وصل هو وأهل بيته الى ارض

كربلاء - التي تبعد عن الكوفة قرابة اثني عشر فرسخاً - قلب
أهل العراق عليه الأمر ، وخرجوا لقتاله بأمر من يزيد بن
معاوية - الخليفة الأموي القاطن في الشام - فقاتل الحسين
ابن علي مع أهل بيته الجيش الأموي الكثيف العدد قتال
الأبطال حتى قتل هو وأهل بيته ، وقد أبدى الجيش الأموي
في هذه المعركة كل تداللة وسفالة ، ومنذ ذلك الحين اتخذ أهل
الشيعة هذا المكان مركزاً روحياً يأتونه من كل مكان ،
ويزدحمون فيه ازدحاماً ليس عندنا في الروحانية المسيحية
له مثيل .

هذه المدينة - كربلاء - ايضاً مدينة شيعية وفيها علماء
الشيعة ومدارسهم ، وهي والنجف تسند احدهما الأخرى .
ولما وصلتني الأوامر للذهاب إلى هاتين المدينتين قطعت
الطريق من البصرة إلى (بغداد) مركز الوالي المغضوب من
قبل الخليفة في الاستانة ومن هناك ذهبت الى (الحلة) وهي
مدينة تقع على (شط الفرات) .

و (الفرات ودجلة) نهران كبيران يخترقان العراق من
تركيا ويصبان في البحر ، ويعود الفضل في زراعة العراق
ورفاهها الى هذين النهرين .

وقد اقترحت - انا - على وزارة المستعمرات بعد عودتي
الى لندن ان تخطط لوضع اليد على مصب هذين النهرين لتمكين
من إخضاع العراق في حالة الطوارئ ، فانه ان انقطع الماء

عن العراق لا بد وان نخضع اهلها لمطالب الوزارة .

ومن (الرحلة) ذهبت الى (النجف) في زي تاجر من تجار (آذربايجان) واثقلت برجال الدين واخذت اراودهم وحضرت مجالس دروسهم واعجبت بهم ايما اعجاب لصفاء روحهم ، وغزارة علمهم ، وشدة تقواهم لكن وجدتهم قد مر عليهم الزمن ولا يفكرون في تجديد امرهم .

١- فقد كانوا على شدة عدائهم للسلطة في تركيا (لا لانهم شيعة وانما سنيّة) بل لضغط السلطة على حرياتهم ضغطاً كبيراً لا يفكرون في منازلتها وفي التخلص منها .

٢- كما انهم كانوا قد حصروا أنفسهم في عاوم الدين امثال قساوستنا في عصر الحمود ، وقد تركوا علوم الدنيا الا بمقدار قليل لا ينفع .

٣- وكذلك وجدتهم لا يفكرون في ما يجري حولهم

في العالم

وقد قلت في نفسي مساكين هؤلاء فيانهم في سبات حيث الدنيا في يقظة ، وسيأتي يوم يجرفهم السيل ، وقد حاولت مكرراً استنهاضهم لمحاربة الخلافة فلم اجد فيهم اذناً صاغية ، وكان بعضهم يسخر مني وكأني أقول له اهدم الكون ، فقد كانوا ينظرون إلى الخلافة كأنها مارد لا يمكن ان يقصر إلا إذا ظهر (ولي الأمر عجل الله فرجه) .

وولي الأمر عندهم هو امامهم الثاني عشر من ذرية الرسول غاب عن الأبصار عام (٢٥٥) هجري اي بعد ظهور رسولهم ب(٢٥٥) سنة وهو حي الى اليوم ثم يظهر للعالم ليملاؤه عدلاً بعد ان ملأ جوراً .

ولاني اتعجب كيف يعتقد اناس افاضل بهذه العقيدة الخرافية انها مثل عقيدة الخرافيين من المسيحيين بأنه سيعود المسيح من عليائه ليملا الدنيا عدلاً .

قلت لأحدهم : أليس الواجب ان تغبروا الظلم كما غير رسول الإسلام ؟ (قال) الرسول كان يسنده الله ولذا تمكن (قلت) في القرآن الحكيم (ان تنصروا الله ينصركم) فانتم ايضاً يسندكم الله ان قمتم بالسيف في وجه طغيان الخليفة (قال) انت تاجر، وهذه مواضيع علمية يقصر فهمك عن ملاحقتها .

(أما مرقد) الامام أمير المؤمنين - كما يسمونه - فهو مرقد جميل مزخرف بأنواع الزخرفة الجميلة ، وله حرم جميل ، وعليه قبة ذهبية كبيرة ، ومنارتان ضخمتان ذهبيتان ، وأهل الشيعة يدخلونه كل يوم زرافات وراقفات ويقيمون فيه الصلوات بهيئة اجتماعية ، ويقبلون ضريحه الذي ألد فيه وينحني كل واحد إلى عتبته يقبلها ثم يسلم على الامام ، ويستأذن في الدخول فيدخل ، ويحيط بالحرم صحن كبير فيه غرف كثيرة هي مأوى رجال الدين والزوار .

وفي كربلاء حرمان علي طراز حرم (علي) الأول :
حرم (الحسين) والثاني حرم (العباس) وهو اخ للحسين
قتل معه في كربلاء ، وتفعل الشيعة في كربلاء مثل ما
تفعل في النجف ، وكربلاء احسن مناخاً من النجف حيث
يحيط بالبلد طوق كبير وكثيف من البساتين وفيها
أنهار جارية .

في سفرتي إلى (العراق) وجدت ما يثلج الصدر ، فقد
كانت الأوضاع العامة والخاصة تنذر بنهاية الحكم ، فالوالي
من قبل الأستانة رجل مستبد جاهل يحكم بما يشاء وكان الناس
عبيد وإماء له ، والشعب بصورة عامة غير راض عنه ، أما
أهل الشيعة فلأن الحكومة تضغط على حرياتهم ولا تعير لهم
أهمية وأما أهل السنة فلأنهم يأنفون ان يحكمهم رجل تركي
وفيهم الأشراف والسادة من آل الرسول الذين يرون أنهم
أحق بالحكم من الوالي التركي .

والبلاد خراب يعيش الناس فيها في قذارة ووساخة
وخرائب .

والطرق غير مأمونة فعصابات اللصوص يترصدون القوافل
فينقضوا عليهم اذا لم تكن معهم مفرزة من الشرطة ، ولذا
فإن القوافل لا تتحرك الا بعد ان تصحبهم الحكومة بالشرطة
المدججين بالسلاح .

والمخاضات بين العشائر قائمة على قدم وساق ، فلا يمر

يوم إلا وعشيرة تنقض على عشيرة أخرى ويكون بينهما القتل
والسلب .

والجهل والامية متفشية بصورة مدهشة تذكرنني بأيام
استيلاء الكنيسة على بلادنا ، فباستثناء طبقة رجال الدين في
النجف وكربلاء وقلة مرتبطة بهم لا تجد قارئاً ولا كاتباً واحداً
في كل ألف انسان .

والاقتصاد منهار فعيش الناس في فاقة شديدة وفقير مدقع .
والنظام غير مستتب فالفوضى هي التي تسود كل شيء .
وتنظر الحكومة والناس كل إلى الآخر بنظر الريبة والشك
ولذا لا تعاون بينها .

ورجال الدين غارقون في الامور الدينية عازفين عن الحياة
الدنيا .

والصحارى أغلبها يباب لا زراعة فيها ، ويمر النهران
(دجلة والفرات) عبر أراضيهم وكأنها ضيف عليهم حتى
يصبان في البحر .

والى غير ذلك من الأوضاع المتردية الفاسدة التي تنتظر
الانقاذ .

بقيت في كربلاء والنجف مدة اربعة اشهر وقد تمرضت
في النجف مرضاً شاداً حتى يثت من نفسي ، ودام معي
المرض مدة ثلاثة أسابيع ، وراجعت طبيباً كان هناك ، ووصف

لي بعض الأدوية فإني شربتها أحسست بتحسن صحي ، وكان الفصل صيفاً شديداً. الحر فكنت اعتكفت أيام مرضي في مكان تحت الأرض يسمى ؛ (السرداب) وكان صاحب البيت الذي استأجرت منه غرفة يباشر في هذه المدة مهمة صنع الطعام والدواء لي لقاء اجر بسيط ، وكان يعتبر خدمتي افضل قرابة إلى الله حيث انه يخدم زائراً (لأمير المؤمنين عليه السلام) وكان اكلني فقط - في الأيام الأولى - ماء طير يسمونه (الدجاجة) ثم منح لي الطيب السباح بأكل لحمه ايضاً ، وفي الأسبوع الثالث اباح لي ان آكل (الأرز) بالدجاج ، وبعد ان ابلت من المرض ذهبت الى بغداد وهناك كتبت تقريراً مفصلاً عن مشاهداتي في النجف وكربلاء والحلة وبغداد والطريق في تقرير مسهب استوعب مائة صفحة ، وسلمت التقرير إلى ممثل الوزارة في بغداد ، وبقيت بانتظار أوامر الوزارة هل أبقى في العراق او اعود إلى لندن .

وقد كنت شديد الشوق للعودة إلى لندن لأن الغربية طالت والحنين إلى البلد والأهل قد اشتد ، خصوصاً وقد كنت شائقاً كثيراً إلى لقاء ولدي (رسبوتين) الذي فتح العين إلى الفور في غيابي ولذا فاني قد طلبت من الوزارة مع التقرير الذي بعثته إليها ان يسمحوا لي بالعودة ولو لاجل محدود ، لاروي لهم انطباعاتي شفوياً ولكي آخذ قسماً من الراحة والاستجمام فقد طال سفري الى العراق مدة ثلاث سنوات .

قال لي ممثل الوزارة في بغداد ان لا اتردد عليه وان استأجر غرفة في أحد الخانات المطلة على نهر (دجلة) لكيلا تثار حولي شبهة وقال انه (أي الممثل) سوف يجبرني بالجواب حينما يأتي البريد من لندن ، وكنت في ايام إقامتي في بغداد رأيت البون الشاسع بين عاصمة الخلافة وبين بغداد ، وكيف أن الأتراك يتعمدون اذلال أهالي العراق لأنهم عرب لا يؤمن مكرهم .

وقد كنت ايام مغادرتي البصرة إلى كربلاء والنجف قلقاً أشد القلق على مصير (الشيخ محمد عبد الوهاب) حيث كنت لا آمن الانحراف عن الطريقة التي رسمتها له ، فإنه كان شديد التلون ، عصبي المزاج ، فكنت أخشى ان تنهار كل آمالي التي بنتها عليه .

انه حين اردت ان افارقه كان يروم الذهاب إلى الاستانة للتطلع عليها لكي منعه عن ذلك أشد المنع وقلت له اخاف ان تقول هناك شيئاً ما يوجب ان يكفروك ومصيرك حينذاك القتل ، قلت له هكذا ، ولكن كان في نفسي شيء آخر وهو ان يلتقي ببعض العلماء هناك فيقوم معوجه ويرجعه إلى طريق أهل السنة فينهار كل آمالي .

ولما كان الشيخ محمد لا يريد الإقامة في البصرة أشرت

عليه بأن يذهب إلى (أصفهان وشيراز) فان هاتين المدينتين جميلتين ، وأهاليها من اهل الشيعة ومن المستبعد ان تؤثر الشيعة في الشيخ ، وقد كنت بذلك أمنت انحرافه

وعند مفارقتي للشيخ قلت له : هل انك تؤمن بالتقية ؟ قال نعم ، فقد اتقى أحد أصحاب الرسول (وأظنه قال انه مقداد) حين اضطهده المشركون ، وقتلوا أباه وامه فأظهر الشرك ، وأقره على ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . قلت له : اذن اتق من الشيعة ولا تظهر لهم انك من أهل السنة لئلا تقع عليك كارثة ، وتمتع ببلادهم وعلمائهم ، وتعرف على عاداتهم وتقاليدهم فإنه ينفعك أشد النفع في مستقبل حياتك .

وقد زودت الشيخ حين اردت مفارقته بكمية من المال بعنوان (الزكاة) وهي ضريبة إسلامية تؤخذ لصفها في مصالح المسلمين ، كما وقد اشتريت له (دابة) للركوب بعنوان الهدية وفارقته .

ومنذ مفارقتي له لم اعلم مصيره ، وكنت قلقاً لذلك أشد القلق وقد تبانينا ان نرجع كلانا إلى البصرة ، وإذا رجع احدهما ولم يجد صاحبه يدع مكتوباً عند (عبد الرضا) يخبر فيه صديقه عن حاله .

بعد مدة من مكوثي في (بغداد) أتني الأوامر بضرورة التوجه الى (لندن) فوراً ، فتوجهت إليها ، وهناك اجتمع بي السكرتير وبعض اعضاء الوزارة وأخبرتهم بمشاهداتي وما عملته في سفرتي الطويلة ، ففرحوا بمعلوماتي عن (العراق) أشد الفرح ، وأبدوا ارتياحهم لها ، وكان قد سبق اليهم تقريري عن تفاصيل الرحلة ، وظهر لي فيما بعد ان (صفية) قريبة (الشيخ محمد عبد الوهاب) في البصرة ايضاً كانت قد كتبت اليهم بما يطابق تقاريري ، كما تبين ايضاً أن الوزارة كانت تراقبني في كل السفارة وان المراقبين كتبوا عني تقارير مرضية ، ومصدقة لما كتبت في تقريري ولما قلت عند مقابلة السكرتير .

ضرب السكرتير لي موعداً للاجتماع بنفس الوزير ولما زرته في مكتبه رحب بي ترحيباً خافياً يختلف عن ترحيبه السابق عندما عدت من (الاستانة) الى لندن وظهر لي اني اشغلت من قلبه مكاناً لائقاً .

وقد أبدى الوزير إرتياحه الكبير من السيطرة على (محمد) وقال : انه ضالة الوزارة ، وأكد علي مكرراً بأن اعاهده بكل انواع المعاهدة ، وقال انك لو لم تحصل في كل اتعابك إلا على (الشيخ) كان جديراً بكل تلكم الأتعاب . وحيث

أبدت قلقي على مصيره بعدي قال الوزير : اطمئن بأن (الشيخ) لا يزال على ما فارقتك أنت من الآراء والأفكار وقال الوزير : ان عملاء الوزارة اتصلوا به في (اصفهان) وانهم أخبروا الوزارة بأن الشيخ على ما كان ، لكن اسررت في نفسي : كيف اباح الشيخ بدخيلة سره إليهم ؟ ومهيبت ان اسئل الوزير عن ذلك ، ثم تبين لي فيما بعد حين التقيت (بالشيخ) ان انساناً يدعى (عبد الكريم) اتصل به في (اصفهان) وانه أخ (للشيخ محمد : يقصد انا) قال له عن تفاصيل اسراره عن الشيخ محمد ، وبذلك استطاع من النفوذ الى دخائل قلبه ، وقال (محمد الوهاب) ان (صافية) لحقته في (اصفهان) وتعمم (بمتعة) اخرى لمدة شهرين ، وان (عبد الكريم) صاحبه إلى (شيراز) حيث هبت (لمحمد الوهاب) متعة اخرى اسمها (آسية) أجمل وأكثر انوثة وعاطفة من (صافية) وانه قضى معها أسعد ساعات العمر . وتبين لي فيما بعد - ايضاً - : ان (عبد الكريم) اسم مستعار لأحد المسيحيين في (جلفاء) من نواحي (اصفهان) كان من عملاء الوزارة ، وان (آسية) من يهود (شيراز) وكانت ايضاً هي الاخرى من عملاء الوزارة ، وكان نتيجة سيطرتنا - نحن الأربعة - على (محمد الوهاب) انه طبخ كافيلاً ما يمكن لما يرجى منه في المستقبل .

بعد شرح الأحوال للوزير بحضور السكرتير ، وكفرين آخرين من اعضاء الوزارة لم اعرفها من ذي قبل ، قال لي الوزير : لقد استحققت أعلى أوسمة الوزارة حيث بلغت الدرجة الأولى في سلم العملاء المخلصين ، ثم أردف : ان السكرتير سوف يطلعك على بعض أسرار الدولة ينفعك في مهمتك .

ثم منحوا لي اجازة عشرة أيام لكي أنصرف إلى أهلي ، وخرجت من الوزارة ميمماً نحو أهلي ، وعشت مع ابني الصغير الذي كان يشبهني ، وينطق ببعض الكلمات ويمشي وكأنه قطعة روجي تمشي على الأرض ، في أسعد اللحظات ، وقد غمرني الفرح فوق حد الوصف ، وكاد ان يطير روجي حباً ، وتمتعت بالأهل والوطن اما استمتاع ، كما زرت عمتي العجوز الطاعنة في السن التي كانت دائماً تغمرني بعطف ولطف ، ومن حسن الحظ اجتماعي بها هنا ، حيث لأنها فارقت الحياة عندما كنت انا في السفرة الثالثة ، وقد ترك وفاتها في نفسي ألماً ولوعة وحسرة .

إنقضت الأيام العشرة وكأنها ساعة - وهكذا تنقضي الأيام السعيدة كالساعات بينا الأيام البائسة تنقضي وكأنها قرون - وتذكرت حينذاك الأيام التي كنت فيها مريضاً في العراق والنجف ، وكان اليوم الواحد منها عمر علي وكأنها سنة ، ولا تزال مرارة تلك الأيام تحت أسناني ، حتى ان

مجموع أيام سعادتني لم يترك عندي من السعادة ما تركته عندي
أيام الشقاء من المرارة .

راجعت الوزارة لأتخذ الأوامر بشأن المستقبل ، وكان
في استقبالني السكرتير بطلعته الوسيمة ، وثغره الباسم ، وطوله
الفارغ ، وصافحي مصافحة بخارة لمست منها كل معاني
الاخوة .

قال لي : لقد أمرني الوزير شخصياً ، كما حولتني اللجنة
الخاصة بشؤون المستعمرات ان اطلعك على سرين هامين جداً
وذلك لكي تستفيد منهما في المستقبل ، ولا يطلع على هذين
السرين إلا قلائل من الذين يعتمد عليهم .

ثم أخذ بيدي وأدخلني احدى غرف الوزارة ، ورأيت
فيها عجباً ، فهناك مائدة مستديرة حولها عشرة رجال (احدهم)
في زي السلطان العثماني وهو يتكلم التركية والانكليزية ،
(والثاني) في زي شيخ الإسلام في الاستانة (والثالث)
في زي الملك الفارسي ، (والرابع) في زي عالم البلاط الشيعي
(والخامس) في زي مرجع التقليد لأهل الشيعة في النجف ،
وهؤلاء الثلاثة يتكلمون باللغتين الفارسية والانكليزية . وعند
كل واحد من هؤلاء الخمسة كاتب من الكتاب ليكتب ما
يقول . كما انه هو بنفسه الطريق إلى احد الخمسة ليزوده
بالمعلومات التي تجمعها العملاء حول هؤلاء الخمسة من (الاستانة،
وفارس ، والنجف) .

قال السكرتير : ان هؤلاء الخمسة يمثلون اولئك الأصليين
صنعناهم على أمثلتهم لنرى كيف يفكر اولئك الخمسة ،
فإننا نزود هؤلاء بالمعلومات التي تصلنا من الاستانة وطهران
والنجف ، هؤلاء يجعلون من انفسهم بمنزلة اولئك الخمسة
الأصلاء ، ثم يجيبوننا عن كل ما نسألهم ، وقد لاحظنا ان
نتائج تفكير هؤلاء الخمسة تطابق سبعين في المائة تفكير اولئك
الأصليين .

قال السكرتير : وان شئت جرب الامر فانك قابلت عالم
النجف ، قلت حسناً حيث كنت قد سئلت بعض المسائل عن
مرجع التقليد في النجف . تقدمت الى (البدل) وقلت له :
مولانا هل يجوز لنا نحن الشيعة ان نحارب الحكومة لأنها حكومة
سنية شديدة التعصب ؟ تروى (البدل) قليلاً وقال : لا يجوز
لنا محاربتهم لأنهم سنة ، فإن المسلمين اخوة ، وانما يجوز
لنا محاربتهم لأنهم يضطهدون الامة ، وذلك من باب الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يرفعوا ايديهم عن اضطهادنا
وحينذاك نتركهم وشأنهم (قلت) مولانا ما رأيكم في نجاسة
اليهودي والنصراني فهل هم انجاس ام لا ؟ قال (البدل) :
نعم انهم انجاس يجب الاجتناب عنهم (قلت) ولم ؟ (قال)
هذا من باب المقابلة بالمثل فانهم يروننا كفاراً ، وانهم يكذبون
نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذلك نحن نقابلهم
بالمثل (قلت له) مولانا اليست النظافة من الايمان فلماذا رأيت
انا قذارة الصحن الشريف ، والشوارع والأزقة حتى اني

مجموع أيام سعادتني لم يترك عندي من السعادة ما تركته عندي
أيام الشقاء من المرارة .

راجعت الوزارة لأتخذ الأوامر بشأن المستقبل ، وكان
في استقبالني السكرتير بطلعته الوسيمة ، وثغره الباسم ، وطوله
الفارغ ، وصافحي مصافحة بخارة لمست منها كل معاني
الاخوة .

قال لي : لقد أمرني الوزير شخصياً ، كما حولتني اللجنة
الخاصة بشؤون المستعمرات ان اطلعك على سرين هامين جداً
وذلك لكي تستفيد منهما في المستقبل ، ولا يطلع على هذين
السرين إلا قلائل من الذين يعتمد عليهم .

ثم أخذ بيدي وأدخلني احدى غرف الوزارة ، ورأيت
فيها عجباً ، فهناك مائدة مستديرة حولها عشرة رجال (احدهم)
في زي السلطان العثماني وهو يتكلم التركية والانكليزية ،
(والثاني) في زي شيخ الإسلام في الاستانة (والثالث)
في زي الملك الفارسي ، (والرابع) في زي عالم البلاط الشيعي
(والخامس) في زي مرجع التقليد لأهل الشيعة في النجف ،
وهؤلاء الثلاثة يتكلمون باللغتين الفارسية والانكليزية . وعند
كل واحد من هؤلاء الخمسة كاتب من الكتاب ليكتب ما
يقول . كما انه هو بنفسه الطريق إلى احد الخمسة ليزوده
بالمعلومات التي تجمعها العملاء حول هؤلاء الخمسة من (الاستانة،
وفارس ، والنجف) .

قال السكرتير : ان هؤلاء الخمسة يمثلون اولئك الأصليين
صنعناهم على أمثلتهم لنرى كيف يفكر اولئك الخمسة ،
فإننا نزود هؤلاء بالمعلومات التي تصلنا من الاستانة وطهران
والنجف ، هؤلاء يجعلون من انفسهم بمنزلة اولئك الخمسة
الأصلاء ، ثم يجيبوننا عن كل ما نسألهم ، وقد لاحظنا ان
نتائج تفكير هؤلاء الخمسة تطابق سبعين في المائة تفكير اولئك
الأصليين .

قال السكرتير : وان شئت جرب الامر فانك قابلت عالم
النجف ، قلت حسناً حيث كنت قد سئلت بعض المسائل عن
مرجع التقليد في النجف . تقدمت الى (البدل) وقلت له :
مولانا هل يجوز لنا نحن الشيعة ان نحارب الحكومة لأنها حكومة
سنية شديدة التعصب ؟ تروى (البدل) قليلاً وقال : لا يجوز
لنا محاربتهم لأنهم سنة ، فإن المسلمين اخوة ، وانما يجوز
لنا محاربتهم لأنهم يضطهدون الامة ، وذلك من باب الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يرفعوا ايديهم عن اضطهادنا
وحينذاك نتركهم وشأنهم (قلت) مولانا ما رأيكم في نجاسة
اليهودي والنصراني فهل هم انجاس ام لا ؟ قال (البدل) :
نعم انهم انجاس يجب الاجتناب عنهم (قلت) ولم ؟ (قال)
هذا من باب المقابلة بالمثل فانهم يروننا كفاراً ، وانهم يكذبون
نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذلك نحن نقابلهم
بالمثل (قلت له) مولانا اليست النظافة من الاعمان فلماذا رأيت
انا قدارة الصحن الشريف ، والشوارع والأزقة حتى اني

رأيت القذارة في المدارس العلمية ايضاً (قال) النظافة لا شك
انها من الايمان ولكن ماذا نضع بقلة المياه وعدم اهتمام الحكومة
بالنظافة .

كانت المفاجآت في اجوبة (البدل) انها كلها كانت
مطابقة لأجوبة العالم المرجع في النجف بدون زيادة او نقيصة ،
لكن كانت إضافة جملة (وعدم اهتمام الحكومة بالنظافة)
في الجواب الثالث زيادة من (البدل) حيث لم يذكرها الأصيل
وقد دهشت انما دهشة لهذه البدلية المطابقة للأصل ، فقد
اجابني المرجع في النجف حيث سألته عن هذه الأسئلة بنفس
هذه الأجوبة ، وكان (البدل) يتكلم باللغة الفارسية كما كان
المرجع في النجف يتكلم باللغة الفارسية ايضاً .

قال لي السكرتير : ولو كنت واجهت الأربعة الأصلاء
الآخرين وتكلمت معهم لكان لك ان تتكلم مع هؤلاء الأبدال
لترى كيف ان هؤلاء الأبدال مثل اولئك الأصلاء (قلت)
اني اعرف كيفية تفكير شيخ الإسلام لأن أستاذي (الشيخ
احمد افندم) نقل لي جملة وافية عنه . قال لي السكرتير :
تفضل وتكلم مع (البدل) عنه .

فتقدمت الى البدل وقلت له : افندم هل تجب طاعة
الخليفة ؟ (قال) نعم يا ولدي مثل وجوب طاعة الله ورسوله
(قلت له) افندم بأي دليل ؟ قال : لم تسمع قول الله تعالى
(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ؟ قلت :

افندم اذا كان الخليفة اولى الأمر فكيف يأمرنا الله بطاعة
(يزيد) الذي أباح المدينة المنورة لحيشه وقتل الحسين سبط
رسول الله ، وكيف يأمرنا الله بطاعة (الوليد) الذي كان
يشرب الخمر (قال البدل) : يا ولدي ان (يزيد) كان امير
المؤمنين من قبل الله تعالى وقد أخطأ في قتله الحسين وتاب ،
وأما أباحت المدينة المنورة فقد كانت صحيحة لأنهم طغوا وبغوا
وخلعوا الطاعة ، وأما الوليد فكان يشرب الممزوجة بالماء
والتي لا توجب له السكر وذلك جائز في شريعة الإسلام .

لقد كنت سئلت هذه الأسئلة من (شيعي أحمد افندم)
وكان جوابه نفس الأجوبة باختلاف يسير .

قلت للسكرتير بعد هذه المقابلة : وما فائدة هذه التمثيلية
قال إننا نعرف كيف تفكر سلاطين وعلماء المسلمين سنة وشيعة
ونضع الحلول المناسبة لمعاكستهم في القضايا السياسية والدينية
(مثلاً) اذا عرفت ان عدوك يأتي من طرف المشرق كنت
وضعت جنودك في ذلك الطرف لصدده ، أما اذا لم تكن تعرف
من اين يأتي العدو فقد تبعثر جنودك في كل اتجاه .. وكذلك
إذا عرفت وجه استدلال المسلم على مذهبه ودينه تمكنت ان
تضع الأجوبة الجاهزة لردّه فتكون تلك الأجوبة كافية لحلحلة
عقيدة المسلمين .

ثم ناولني السكرتير كتاباً ضخماً من ألف صفحة فيه
نتائج المناقشات والحطط التي جرت بين هؤلاء الخمسة الأصليين

قال السكرتير : وهذا هو السر الأول الذي أمرني الوزير
ايقافك عليه .

وأما السر الثاني فموقوف أطلعك عليه بعد شهر حيث أتممت
هذا الكتاب (ويقصد الكتاب ذا الألف صفحة الذي تقدمت
الإشارة إليه) .

لقد طالعت الكتاب بدقة وامعان من الجلد وإلى الجلد ،
وظهرت لي آفاق جديدة من المعرفة بأوضاع المحمدين كما
ظهرت لي كيفية تفكيرهم ، وأنهم كيف متأخرون ؟ وأن
نقاط الضعف فيهم ما هي ؟ كما ظهرت لي نقاط القوة في
المسلمين وأنه كيف يلزم العمل لهدمها وتبديلها بنقاط
الضعف .

١- فمن نقاط الضعف فيهم : الاختلاف بين السنة
والشيعية ، والاختلاف بين الحكام والشعوب ، والاختلاف
بين حكومتي (الأتراك والفرس) والاختلاف بين العشائر ،
والاختلاف بين العلماء والحكومة .

٢- ومن نقاط الضعف فيهم : الجهل والامية التي تكاد
تستوعب كل المسلمين إلا نادراً .

٣- ومن نقاط الضعف فيهم : خمول الروح وذبول
المعرفة وفقدان الوعي .

٤- ومن نقاط الضعف فيهم : ترك الدنيا كلية والتعلق
بالآخرة والعمل لها وحدها .

والحمسة الأبدال في الشؤون العسكرية والمالية والثقافية والدينية ،
وحملت الكتاب معي إلى الدار وقرأته من أوله إلى آخره في
ثلاثة أسابيع مدة إجازتي وأمرني بإرجاع الكتاب بعد المطالعة ،
وعند قرائتي للكتاب دهشت لما حواه من الرد ودقة المناقشات
وكأنها واقعية فكانت مطابقة الأجوبة - حسب معلوماتي -
أكثر من سبعين بالمائة وإن كان السكرتير سبق وإن قل لي
أن الأجوبة الصائبة من التمثيلية زهاء سبعين بالمائة .

وقد ازددت وثوقاً بمقدرة حكومتي وعلمت يقيناً أن
الامبراطورية العثمانية مشرفة على الزوال في أقل من قرن حسب
ما قدره الكتاب .

قال السكرتير لي وهناك غرف أخرى فيها نظير هذه
التمثيلية بالنسبة لسائر البلاد التي هي مستعمرة بأيدينا ،
أو ما تقصد الحكومة استعمارها فيما بعد .

قلت للسكرتير : من أين تحصلون على هؤلاء الأبدال
بهذه الدقة والمقدرة ؟ (قال) إن عملنا في كافة البلاد يزودونا
بالمعلومات الكافية بصورة مستمرة وهؤلاء الأبدال انحصائيون في
هذه الناحية ، ومن الطبيعي أنك إذا حصلت على معلومات كافية
خاصة كما يعلمها (فلان) يكون نوع تفكيرك واستنتاجاتك
مثل تفكيره واستنتاجاته إذ تكون حينذاك نسخة طبق
الأصل منه .

٥ - ومن نقاط الضعف فيهم : دكتاتورية الحكام والاستبداد
الشامل .

٦ - ومن نقاط الضعف فيهم : عدم أمن الطرق وإنقطاع
المواصلات إلا بقدر قليل .

٧ - ومن نقاط الضعف فيهم : تدهور الصحة العامة
حتى ان (الطاعون) (والوباء) يجتاحان البلاد بصورة مستمرة
تقريباً بحرفان عشرات الألوف في كل وجبة .

٨ - ومن نقاط الضعف فيهم : خراب البلاد وبياب
الصحارى وانسداد الأنهر وقلة المزارع .

٩ - ومن نقاط الضعف فيهم : الفوضى في كل شؤون
الإدارة فلا نظام ولا مقاييس ولا موازين ولا قوانين ، قليهم
وان كانوا كثيري الاعتزاز بالقرآن إلا أن العمل بقوانينه
يكاد يكون معدوماً .

١٠ - ومن نقاط الضعف فيهم تدهور الاقتصاد تدهوراً
مشيئاً فالفقر ضارب بأجرانه في كل مكان .

١١ - ومن نقاط الضعف فيهم : عدم وجود جيوش
نظامية بمعنى الكلمة وعدم السلاح الكافي ، وردائة الموجود منه .

١٢ - ومن نقاط الضعف فيهم : احتقار المرأة وهضم
حقها .

١٣ - ومن نقاط الضعف فيهم : الوساخة والقدارة في
الأسواق والشوارع والأجسام وكل مكان .

وقد كان الكتاب يذكر بعد كل نقطة ضعف ان قانون
الإسلام بالعكس فاللازم ابقاء المسلمين في جهلهم حتى لا
يتبهبوا إلى حقيقة دينهم ، فقد ذكر الكتاب أن الإسلام :
١ - يأمرهم بالاتحاد والألفة ونيد الفوارق ففي القرآن
(واعتصموا بحبل الله جميعاً) .

٢ - ويأمرهم بطلب العلم ففي الحديث (طلب العلم
فريضة على كل مسلم ومسلمة) .

٣ - ويأمرهم بالوعي ففي القرآن (فسيروا في الأرض) .

٤ - ويأمرهم بطلب الدنيا ففي القرآن (ومنهم من يقول
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) .

٥ - ويأمرهم بالمشورة ففي القرآن (وأمرهم شورى
بينهم) .

٦ - ويأمرهم بتأمين السبل ففي القرآن (فامشوا في
مناكبها) .

٧ - ويأمرهم بمعاهدة ابدانهم وصحتهم ففي الحديث
(إنما العلوم أربعة : علم الفقه لحفظ الأديان ، وعلم الطب
لحفظ الأبدان ، وعلم النحو لحفظ اللسان ، وعلم النجوم
لحفظ الأزمان) .

٨- ويأمرهم بالعمران ففي القرآن (وخلق لكم ما في الأرض جميعاً).

٩- ويأمرهم بالنظام ففي القرآن (من كل شيء موزون) وفي الحديث (ونظم أمركم).

١٠- ويأمرهم بقوة الاقتصاد ففي الحديث (من لا معاش له لا معاد له).

١١- ويأمرهم بقوة الجيش والسلاح ففي القرآن (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة).

١٢- ويأمرهم باحترام المرأة ففي القرآن (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف).

١٣- ويأمرهم بالنظافة ففي الحديث (النظافة من الإيمان) أما نقاط القوة التي ذكرها الكتاب وأمر بهدمها فهي أنهم :
١- لا يعيرون الاهتمام بالقوميات ، والإقليميات ، واللغات والألوان ، وسوابق البلاد .

٢- وتحرم عندهم الربا ، والاختكار ، والبغاء ، والخمر ، والخنزير .

٣- ويتعلقون بعلمائهم أشد التعلق .

٤- ويحترم طائفة كبيرة من السنة (الخليفة) ويعتبرونه

مثالاً للرسول يجب طاعته كما يجب طاعة الله والرسول .

٥- ويوجبون الجهاد .

٦- ويرى أهل الشيعة نجاسة غير المسلم منها كانت عقيدته .

٧- ويعتقدون بأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه .

٨- ويرى أهل الشيعة حرمة بناء الكنائس في بلاد الإسلام .

٩- ويرى أكثر المسلمين وجوب اخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب .

١٠- ويمارسون العبادات (الصلاة - الصوم - الحج) ونحوها ممارسة شديدة .

١١- ويرى أهل الشيعة وجوب اعطاء الخمس ، بدفعه إلى علمائهم .

١٢- ويتمسكون بالعقيدة الإسلامية تمسكاً شديداً .

١٣- ويربون أولادهم تربية دقيقة على طريقة الآباء والأجداد حتى ليستحيل الفصل للأبناء عن الآباء .

١٤- والمرأة عندهم في حجاب شديد حتى لا يمكن تسريب الفساد إليها .

١٥- وعندهم صلوة الجماعة التي تجمعهم في كل يوم مرات .

١٦- وعندهم المقابر للنبي وآله والصالحين فتكون مركز تجمعهم وانطلاقهم .

٦ - نشر قرآن فيه التعديل الذي ثبت في الأحاديث من
زيادة وتقيصة .

قال السكرتير لي بعدما بين البرنامج المذكور : لايهولتك
هذا البرنامج الضخم فان الواجب علينا ان نبذر البذرة وسنأتي
الأجيال الآتية ليكملوا المسيرة ، وقد اعتادت حكومة بريطانيا
العظمى على النفس الطويل ، والسير خطوة خطوة ، وهل
(محمد) النبي إلا رجل واحد تمكن من ذلك الانقلاب المذهل ؟
فليكن (محمد عبد الوهاب) مثل نبيته (محمد) ليتمكن من
هذا الانقلاب المنشود .

بعد ايام استأذنت الوزير والسكرتير ، وودعت الأهل
والأصدقاء ، وحين اردت الخروج قال ولدي الصغير : بابا
ارجع بسرعة فانهمرت عيناى ، ولم اتمكن اخفاء ذلك عن
زوجتي ، وقبلتها وقبلتي قبلات حارة ، وخرجت قاصداً
نحو البصرة ، وبعد سفرة مضية وصلت اليها ليلاً وذهبت
لملى دار (عبد الرضا) وكان نائماً ، ولما رأني رحب بي
واستقبلني استقبالا حاراً ونمت هناك حتى الصباح وقال لي :
ان الشيخ محمد رجع الى البصرة ثم سافر واودع عنده كتاباً
موجهاً اليك ، وفي الصباح قرأت الكتاب واذا به يخبرني فيه
انه سافر الى نجد ، وقد ذكر عنوان محله في (نجد) فسافرت
في الصباح ميمماً وجهة نجد ووصلتها بعد مشقة بالغة وجدت
الشيخ محمد في داره ، وقد ظهرت عليه آثار الضعف فلم

ابح له بشيء ثم تبين لي فيما بعد انه تزوج وانه ينهك قواه
مع زوجته ، فنصحته بالاقلاع فسمع كلامي ، وقد صار
القرار ان اجعل نفسي عبداً له قد اشتراه من السوق وأن العبد
الآن جاء من السفر ، وهكذا كان ، فشهر عند اصدقائه اني
عبده اشتراه من البصرة وانه كان في سفر امره بذلك السفر
وانه جاء الآن ، وتلقاني الناس بهذا الاسم وبقيت عنده سنتين
وهيأنا الترتيب اللازم لاطهار الدعوة . وفي سنة (١١٤٣)
هجرية قويت عزيمته وقد جمع أنصاراً لا بأس بهم فأظهر
الدعوة بكلمات مبهمة والفاظ مجملة لأخص خواصه ، ثم
جعل يوسع رقعة الدعوة ، والفتت انا حوله عصابة شديدة
المراس زودناهم بالمال وكنت أشد عزيمتهم كل ما أصابهم
خوف من اجل مهاجمة اعدائه له ، وكلما أظهر الدعوة أكثر
صار اعدائه أكثر ، وأحياناً كان يريد التراجع من ضغط
بعض الاشاعات ضده ، لكنني كنت اشد من عزيمته ، وأقول
له : ان (محمد النبي) رأى أكثر من ذلك وأن هذا هو طريق
المجد وأن كل مصلح لا بد وان يتلقى العنت والارهاق .

وهكذا كنا مع الأعداء بين الكر والفر وقد وضعت على
اعداء الشيخ جواسيس شريتهم بالمال ، فكلما أرادوا اثاره
فتنة اخبرنا الجواسيس بقصدهم فتمكن من قلب الخطة ،
وذات مرة اخبرت ان بعض اعدائه أرادوا اغتياله فوضعت
الترتيبات اللازمة لافشال الخطة ، ولما ظهر قصد اعدائه بارادتهم

وتفني شبابهم وذوي النشاط منهم وتنشر الفوضى والارباك والشعب فيهم .

١٤- تحطيم كل أنواع اقتصادياتهم من مزارع ومعاش وتهديم السدود وطمس الأهر والسعي لتفتيت البطالة فيهم بتفجيرهم عن العمل ، وفتح محلات للبطالة وتكثير مستعملي (الافيون) وسائر المواد المخدرة .

وقد كانت هذه البنود مشروحة شرحاً وافياً ، ومزودة بالخرائط والصور والأشكال .

شكرت السكرتير على تزويده لي بصورة من هذه الوثيقة وبقيت في لندن مدة شهر آخر حتى أتتنا أوامر الوزارة بالتوجه الى العراق مرة اخرى ، لتكميل الشوط مع (محمد الوهاب) وقد أمرني السكرتير بأن لا أفرط في حقه مقداراً ذرة حيث قال (انه حصل من مختلف التقارير الواردة اليه من العملاء أن الشيخ افضل شخص يمكن الاعتماد عليه ليكون مطبوعاً لمآرب الوزارة) .

ثم قال السكرتير : تكلم مع الشيخ بصراحة وقال ان عميلنا في اصفهان تكلم معه بصراحة وقبل الشيخ العرض على شرط ان نحفظه من الحكومات والعلماء الذين لا بد وان يهاجموه بكافة السبل حينما يبدي آرائه وأفكاره وان يزوده بالمال الكافي والسلاح اذا اقتضى الأمر ذلك ، وان نجعل له امانة ولو

صغيرة في أطراف بلاده (نجد) وقد قبلت الوزارة كل ذلك .

لقد كدت أخرج عن جلدي من شدة الفرح بهذا النبأ ، ثم قلت للسكرتير : إذن فما هو العمل الآن ؟ وماذا أكلف الشيخ ، ومن اين ابدء (قال) السكرتير لقد وضعت الوزارة خطة دقيقة لأن ينقذها الشيخ وهي :

١- تكفير كل المسلمين وإباحة قتلهم وسلب أموالهم وهتك اعراضهم وبيعهم في اسواق النخاسة ، وحماية جعلهم عبيداً ونسائهم جوارى .

٢- هدم الكعبة باسم أنها آثار وثنية ان امكن ومنع الناس عن الحج وإغراء القبائل بسلب الحجاج وقتلهم .

٣- السعي لخلع طاعة الخليفة ، والإغراء لمحاربهه وتجهيز الحيوش لذلك ، ومن اللازم ايضاً محاربة (أشراف الحجاز) بكل الوسائل الممكنة ، والتقليل من نفوذهم .

٤- هدم القباب والأضرحة والأماكن المقدسة عند المسلمين في مكة والمدينة وسائر البلاد التي يمكنه ذلك فيها باسم أنها وثنية وشرك والاستهانة بشخصية النبي (محمد) وخلفائه ورجال الإسلام عما يتيسر .

٥- نشر الفوضى والارهاب في البلاد حسب ما يمكنه ذلك .

٨ - الاهتمام لزراعة الحكام الفاسدين في البلاد بحيث يكونون آلة بيد الوزارة يأتمرون بأوامرها وينتهون عن زواجها ، والضروري تسريب مآربنا عبرهم إلى البلاد وإلى المسلمين ، وإن أمكن أن يكون الحاكم غير مسلم واقعاً فهو المفضل ، وعليه فمن الضروري ادخال أفراد في الإسلام صورة ثم ابصالحهم إلى مراكز الحكم لتطبيق المآرب بواسطتهم .

٩ - منع اللغة العربية حسب الامكان ، وتوسيع اللغات غير العربية مثل (السنسكريتية) و (البارسية) و (الكردية) و (البشتو) واحياء اللغات الأصلية الدائرة في البلاد العربية ، وتوسيع نطاق اللهجات المحلية المتفرعة عن العربية ، والتي توجب قطع العرب عن اللغة الفصحى التي هي لغة القرآن والسنة .

١٠ - زرع العملاء حول الحكام و ابصالحهم إلى رتبة المستشارين لهم حتى يتسنى للوزارة النفوذ فيهم عبر المستشارين ، ومن أفضل السبل لذلك العبيد والحواري ذووا الكفاءات العالية فاللازم تربية اولئك في الوزارة ثم بيعهم في أسواق النخاسة إلى المقربين من الحكام ، كأولاد الحكام ، وزوجاتهم ، وذوي الرأي لديهم حتى يتقربوا إلى الحكام تدريجاً ، ويكونوا بعد ذلك أمهات الحكام ومستشاريهم فيحيطوا بهم كالسوار بالمعصم .

١١ - توسيع نطاق التبشير بادخال المبشرين في كل صنف

خصوصاً الحاسبين والأطباء والمهندسين ومن اليهم وزرع الكنائس والمدارس ، والمصححات ودور الكتب ، والجمعيات الخيرية في عرض بلاد الإسلام وطولها ونشر ملايين الكتب المسيحية في اوساط المسلمين مجاناً وبلا عوض والاهتمام لوضع التاريخ المسيحي إلى جنب التاريخ الإسلامي ، وزرع الحواسيس والعملاء في الأديرة والصوامع باسم الرهبان والراهبات مهمتهم تسهيل الاتصالات والتحركات المسيحية واستطلاع حركات المسلمين وأوضاعهم وشؤونهم (كما) أن اللازم تكوين جيش كثيف من العلماء من اجل تشويه تاريخ المسلمين والدس في كتبهم بعد الاطلاع الكامل على أحوالهم وأوضاعهم .

١٢ - تبيع شباب المسلمين بنات واولاداً وتشكيكهم في دينهم وتفسيد اخلاقهم عن طريق المدارس والكتب والنوادي والنشرات والأصدقاء من غير المسلمين الذين يهينون لهذا الشأن ، فمن الضروري تكوين جمعيات سرية من شباب اليهود والنصارى وغيرها من أجل أن يكونوا مصائد لصيد شباب المسلمين بكل الطرق .

١٣ - اشعال الحروب والثورات الداخلية ، والحدودية بين المسلمين وغير المسلمين ، وبين المسلمين انفسهم على طول الزمان لتستنفد قوى المسلمين وتشغلهم عن التفكير في التقدم ، وتوحيد الصف ، ولتستنزف طاقتهم الفكرية ومواردهم المالية

كانت مركبة من بنود اربعة عشر، وقد حذرت الوثيقة من افشائها وأمرت بكتمتها أشد الكتمان لكي لا يطلع عليها المسلمون فيأخذون الخطط المضادة، وحاصل الوثيقة هو:

١- التعاون الأكيد مع قياصرة روسيا للاستيلاء على المنطقة الإسلامية من بخارى، وتاجكستان، وارمينيا، وخراسان وما والاها، وهكذا التعاون الأكيد معهم في الاستيلاء على أطراف بلاد الترك المحاذة لروسيا.

٢- التعاون الأكيد مع فرنسا وروسيا في وضع خطة شاملة لتحطيم العالم الإسلامي من الداخل والخارج.

٣- إثارة النزاعات والخلافات الشديدة بين الدولتين التركية والفارسية واذكاء نار الطائفية والعرقية بين الجانيين، وإشعال النزاعات بين كل متجاورين من القبائل والشعوب الإسلامية، وكذلك بين البلاد الإسلامية وإحياء المذاهب الدينية حتى البائدة منها، وإثارة النزاعات بينها.

٤- اعطاء قطع من البلاد الإسلامية بيد غير المسلمين (فاولاً) يثرب لليهود (وثانياً) الاسكندرية للمسيحيين (وثالثاً) يزد للزرادشت البارسيين (ورابعاً) عمارة للصائبة (وخامساً) كرمانشاه للذين يؤمنون علي بن ابي طالب (وسادساً) الموصل للزيدية (وسابعاً) خليج فارس للهندوك بعد ان يستوردوا كميات كبيرة من الهند (وثامناً) طرابلس للديروز (وتاسعاً) قارض للعلويين (وعاشراً) مسقط للخوارج.

(ثم) اللازم تقوية هؤلاء بالمال والسلاح والخطط والخبرة لتكون هذه الفئات اشواكاً في جسم الإسلام ثم توسيع بلادها حتى تحطم كل البلاد الإسلامية.

٥- التخطيط لتبضيع حكومتي الإسلام التركية والپارسية الى اكبر عدد ممكن من الحكومات المحلية الصغيرة المتنازعة كما هو الحال الآن في الهند، انطلاقاً من قاعدة (فرق تسد) (وفرقتهم).

٦- زرع الأديان والمذاهب المزيفة في جسم بلاد الإسلام واللازم لذلك تخطيط دقيق بحيث يلائم كل دين من تلك الأديان مع هوى جمع من أهل البلاد (مثلاً) اللازم زرع اربعة اديان في جسم بلاد الشيعة، دين يولته الحسين بن علي، ودين يعبد جعفر الصادق، ودين يعبد المهدي الموعود، ودين يعبد علي الرضا، والمكان المناسب للأول (كربلاء) والثاني (اصفهان) ولالثالث (سامراء) وللرابع (خراسان) كما أن اللازم جعل المذاهب الأربعة السنية ادياناً مستقلة لا ارتباط بعضها ببعض وإعادة الخلافات الدموية بينها، والدس في كتبها حتى يرى كل فئة منهم أنهم المسلمون فقط، وان ما عداهم كفار يجب قتلهم وإبادتهم.

٧- نشر الفساد بين المسلمين بالزنا، واللواط، والخمر، والقمار، وأفضل وسيلة لذلك هم أصحاب الأديان السابقة الباقية في هذه البلاد، فاللازم ان يكون منهم جيش كثيف لهذه الغاية.

وتفكر الوزارة في ان تزيد عددهم إلى مائة ألف ويوم وصلنا إلى تجنيد هذا العدد ، فإنه هو اليوم الذي نستولي فيه على المسلمين كافة ونكون قد نسفنا الإسلام وبلادته نفساً كاملاً (ثم أردف السكرتير) قائلاً : وإني أبشرك ان اقصى مدة تحتاجها الوزارة لتكميل هذه الخطة هي قرن من الزمان ولولم نصل نحن الى ذلك الزمان فان أبنائنا سوف يرون ذلك بأمر أعينهم وما أروع المثل القائل (غيري زرع فأكلت وانا ازرع حتى يأكل غيري) وإذا تمكنت (سيدة البحار) من نسف الإسلام والاستيلاء على بلاده فقد أرضا العالم المسيحي من أتعاب اثني عشر قرناً كان المسلمون يطاردون ويهاجمون المسيحيين (وقال السكرتير) : ان الحروب الصليبية لم تكن ذات جدوى كما أن (المغول) لم ينفعوا في قلع جذور الإسلام لأن عملهم كان ارتجالاً بدون حكمة وتخطيط وكانوا يعملون أعمالاً عسكرية ظاهرة العدوان ولذا فاتهم انحسروا بسرعة (أما الآن) فقد اتجه تفكير القادة من حكومتنا العظمى إلى هدم الإسلام من داخله تحت خطة مدروسة دقيقة وبصبر طويل ونهائي . صحيح انا نحتاج إلى الجسم العسكري أخيراً لكن الجسم العسكري سيأتي في المرحلة الأخيرة حيث نكون أنهكنا بلاد الإسلام وضرربنا الإسلام بالمعاول في كل جوانبه حتى

صار لا يقوى على تجميع قواه ورد الحروب بالمثل (ثم أردف السكرتير ايضاً) ان عظماء الأستانة كانوا على أكبر قدر من الفطنة والذكاء حيث عملوا بنفس الخطة التي قررناها نحن فقد تغلغلوا في أوساط المحمديين ففتحوا المدارس لتربية أولادهم وأسسوا الكنائس في اوساطهم ونشروا بينهم الخمر والقمار والدعارة وشككوا شبابهم في دينهم وأثاروا بين حكوماتهم النزاعات وأشعلوا هنا وهناك بينهم الفتن وملأوا بيوت كبارهم بالحسناوات المسيحيات حتى ضعفت شوكتهم وقل تمسكهم بدينهم ووهت وحدتهم والفتهم واذا بالعظماء يشنون عليهم حروباً عسكرية خاطفة فينتقلع الإسلام عن جذوره في تلك البلاد .

٧

أطلعني السكرتير على السر الثاني الذي وعدني به وكنت متلهفاً له خصوصاً بعد ان ذقت طعم السر الأول ولم يكن السر الثاني إلا وثيقة في خمسين صفحة تتعرض للخطط الرامية إلى تحطيم الإسلام والمسلمين خلال قرن واحد ، حتى يكون الإسلام خيراً بعد حقيقة ، والوثيقة كانت موجهة إلى الرؤساء العاملين العاملين في حقل الوزارة ، لأجل هذا الشأن ، وهي

١٧- أما آل الرسول ، فاللازم الطعن في نسبهم والتشكيك في انتسابهم إلى الرسول واللازم تلبس غير آل الرسول بالعمة السوداء والخضراء ليختلط الأمر على الناس ويسئوا الظن بآل الرسول ، ويشكوا في نسبهم ، كما أن اللازم نزع العائم عن رؤوس رجال الدين والسادة ليضيق نسب آل الرسول ولكي لا يتلقى رجال الدين الاحترام عن الناس .

١٨- والحسينيات يجب هدمها واتهامها بأنها بدعة وضلالة وانها لم تكن في عهد الرسول وخلفائه ، كما يجب منع الناس عن ارتيادها بكل الوسائل ويجب تقليل الخطباء وجعل ضرائب خاصة على الخطابة يدفعها الخطيب وصاحب الحسينية .

١٩- واللازم اشراب الحرية الى نفوس المسلمين فلكل إنسان ما يريد من الأعمال فلا يجب الأمر بالمعروف ، ولا النهي عن المنكر ، ولا تعليم الأحكام ويلزم الالقاء اليهم بأن (عيسى على دينه وموسى على دينه) (وأن احداً لا ينم في قبر احد) وأن الأمر والنهي خاص بالسلطان لا يعم الناس .

٢٠- ويجب تحديد النسل وان لا يتزوج الرجل اكثر من زوجة واحدة ووضع القيود على الزواج مثل انه لا يحق لعربي أن يتزوج فارسية ، وبالعكس ، ولا لتركي ان يتزوج عربية وبالعكس .

٢١- ويجب ان يمنع منعاً باتاً التبشير بالإسلام والهداية إليه وإشاعة أن الإسلام دين قومي ولذا قال القرآن (وإنه لذكر لك ولقومك) .

٢٢- والسنن الحسنة يجب تضييق نطاقها وجعل امرها بيد الدولة حتى انه لا يحق لأحد ان يبني مسجداً او مدرسة او ميتماً او غير ذلك من السنن الحسنة والصدقات الحاربة

٢٣- كما أن اللازم التشكيك في القرآن ونشر قرائن مزيفة فيها زيادات ونقائص بحجة أن القرآن زيد فيه ونقص منه ، ويلزم اسقاط الآيات التي تسب اليهود والنصارى والكفار ، واسقاط آيات الجهاد والأمر بالمعروف وترجمة القرآن إلى اللغات المحلية كالتركية والفارسية والهندية والمنع عن تلاوة القرآن العربي في غير بلاد العرب ، كما يجب منع الأذان والصلاة والدعاء باللغة العربية في غير بلاد العرب وكذلك من الضروري التشكيك في الأحاديث المروية وان يعمل بها كما يعمل بالقرآن من التحريف والترجمة والطعن .

لقد كان رائعاً جداً ما وجدته في هذا الكتاب واسمه (كيف نحطم الإسلام) وكان افضل برنامج عملي في المستقبل ، وقد قال لي السكرتير (حين ارجعت الكتاب اليه وأبدت إعجابي الشديد به) : اعلم انك لست في الميدان وحدك بل هناك جنود مخلصون يعملون نفس عملك والذين جندتهم الوزارة إلى الآن لهذه المهمة اكثر من خمسة آلاف شخص ،

فانه لو كان الحديث صحيحاً ، لم تكن زوجة الرسول يهودية
ونصرانية ، وزوجة الصحابي (طلحة) يهودية ، ولم يفاوض
الرسول نصارى نجران .

١٠- ويلزم صرف المسلمين عن العبادات والتشكيك
في جدواها فان الله غني عن طاعة الناس ، ويلزم المنع اشد
المنع عن الحج ، وعن كل اجتماع بين المسلمين مثل (صلوة
الجماعة) وحضور مجالس الحسين ، والمسيرات الخزينة له ،
كما يلزم المنع اشد المنع عن بناء المساجد والمشاهد ، والكعبة
والحسينيات والمدارس .

١١- ويجب التشكيك في الخمس وانه خاص بالغنائم
المستحصلة من دار الحرب لا في ارباح المكاسب ، ثم الواجب
اعطاء الخمس للنبي أو الامام لا إلى العالم ، بالاضافة الى أن
العلماء يشترون بأموال الناس الدور والقصور والدواب والبساتين ،
فلا يجوز شرعاً دفع الخمس إليهم .

١٢- واللازم توهين صلة المسلمين بالإسلام بالتشكيك
في العقيدة واتهام الإسلام بأنه دين التخلف والفوضى ، ولذا
تخلفت بلاد الإسلام وكثر فيهم الاضطراب والسرقه .

١٣- والواجب الفصل بين الآباء والأبناء حتى يخرج
الأبناء من تحت تربية الآباء وعند ذلك تكون التربية بأيدينا
نحن وإذا خرجوا عن تربية الآباء لا بد وان ينفصلوا عن
العقيدة وعن التوجيه الديني ، وعن الصلة بالعلماء .

١٤- ويلزم اغراء (المرثة) باخراجها عن العبادة بحجة
أن الحجاب عادة خلفاء بني العباس وليست عادة إسلامية أصيلة ،
ولذا كان الناس يشاهدون نساء الرسول وكانت المرأة تشترك
في كل الشؤون وبعد اخراج المرأة عن العبادة لا بد من اغراء
الشباب بهن ليقع الفساد بينها واللازم ان تخرج النساء غير
المسلمات من العبادة اولاً حتى تقتدى بهن المرأة المسلمة .

١٥- ويجب تحطيم صلاة الجماعة بحجة فسق الامام واطهار
مساوته وبإثارة البغضاء بين الامام وبين الذين يصلون معه بكل
الوسائل والسبل .

١٦- أما المقابر فاللازم هدمها بحجة انها لم تكن في عصر
النبي وانها بدعة كما أن اللازم صرف الناس عن الزيارات
بالتشكيك في كون هذه المقابر الموجودة للنبي والأئمة
والصالحين ، فالنبي دفن عند قبر امه ، وابو بكر وعمر دفنا
في البقيع وعثمان مجهول قبره ، وعلي دفن في البصرة ، أما
في التجف فهو قبر المغيرة بن شعبة والحسين دفن رأسه في
(حنانه) وجسده مجهول القبر ، وفي الكاظمية قبر الخليفين
لا قبر الكاظم والحواد من آل الرسول ، وفي طوس قبر
هارون لا قبر الرضا من أهل البيت ، وفي سامراء قبور بني
العباس لا قبور الهادي والعسكري والمهدي من أهل البيت ،
والبقيع يجب تسويتها مع الأرض كما يجب هدم كل القباب
والأضرحة الموجودة للمسلمين في كل بلادهم .

وجعل جوائز واغراءات لكل من تمكن من ان يوسع
دوائر هذه الأمور الأربعة أكثر فأكثر .. وأوصى الكتاب
بلزوم حماية ممثلي حكومة بريطانيا العظمى لهذه الأمور
علناً وسراً ، وضرورة بذل ما يمكن في سبيل انقاذ كل من
يقع تحت وطأة عقاب المسلمين من الذين ينشرون هذه الأمور
الأربعة .. كما أوصى الكتاب بنشر (الربا) بكل صورة ،
فانه بالإضافة إلى انه هدم للاقتصاد الوطني يوجب تجرّي
المسلمين على خرق قوانين القرآن ، ومن خرق قانوناً سهل
عليه خرق سائر القوانين .. وقد أوصى الكتاب انه من اللازم
ان يبين للمسلمين أن الحرام (هو الربا المضاعف) حيث يقول
القرآن (لا تأكلوا الربا اضعافاً مضاعفة) وليس الربا بكل
صورة حراماً .

٣ و ٤ - كما يجب تضعيف صلة المسلمين بعلمائهم بإلصاق
التهم بالعلماء وادخال بعض العملاء في زي العلماء ، ثم يرتكبون
الجرائم ليشتبه كل رجل دين عندهم هل انه عالم او عميل .
ومن المؤكد ادخال امثال هؤلاء العملاء في الأزهر - والامتانة)
والنجف . وكره البلاء) ومن طرق تضعيف صلة المسلمين بعلمائهم
فتح المدارس لدراسة اطفال المسلمين بواسطة عملاء الوزارة
ليربوا الأطفال على كره العلماء وعلى كره الخليفة وذكر
مساوئه وانه منشغل بالملذات ، وبصرف اموال الشعب في
الفساد والترغيب ، فهو ليس مثل الرسول في أي شأن من الشؤون .

٥ - ويلزم التشكيك في أمر الجهاد ، وانه كان امراً وقتياً
انقضى بانقضاء زمانه .

٦ - ويلزم اخراج فكرة نجاسة (الكفار) عن نفوس
أهل الشيعة ، وبيان أن الله قال في القرآن (طعامكم حل لهم
وطعامهم حل لكم) وأن الرسول كان له زوجة يهودية وهي
صفية وزوجة نصرانية وهي مارية ، ولا يمكن ان تكون
زوجة الرسول نجسة .

٧ - ويلزم ان يعتقد المسلمون أن مقصود الرسول بالإسلام
(الدين) سواء كانت يهودية أو نصرانية لا (المحمدية)
بدليل أن القرآن يسمى كل أهل دين مسلماً ، ففي القرآن
ان (يوسف) النبي قال (توفني مسلماً) وقال ابراهيم
واسماعيل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة
لك) وقال (يعقوب) النبي لبنيه (فلا تموتن إلا وأنتم
مسلمون) .

٨ - وكيف تحرم الكنائس والرسول وخالفائه لم يهدموها ،
بل لإحترامها ، وفي القرآن (ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات) والصوامع للنصارى ،
والبيع لليهود والصلوات للمجوس ، والإسلام يحترم محلات
العبادة لا انه يهدمها ويمنع عنها .

٩ - ويجب التشكيك في حديث (أخرجوا اليهود من
جزيرة العرب) وحديث (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب)

٦- ويمكن الإبقاء على عدم أمن السبل بالهاء الحكام عن معاقبة اللصوص وتقوية جانب اللصوص واعطائهم السلاح واغرائهم بالعمل المستمر في طريق اللصوصية والاعتشاش

٧- ويمكن الإبقاء على حالتهم اللاصحية بنشر مذهب (القدر) فيهم وأن كل ذلك من الله ، فلا فائدة في العلاج ، ألم يقل الله في القرآن (الذي هو يطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفيني) والم يقل (والذي يميتني ثم يحييني) فالشفاء بيد الله ، والموت بيد الله فلا سبيل للشفاء بدون ارادته ولا مهرب من الموت الذي هو قضاء الله وقدره .

٨- والإبقاء على الجراب واليباب يمكن بما ذكرناه في الحلقة الثالثة والرابعة .

٩- ويمكن الإبقاء على الفوضى ببيان أن الإسلام دين العبادة ولا نظام فيه ولذا لم يكن لمحمد ولا لخلفائه وزراء ولا أنظمة ولا إدارات ولا قوانين .

١٠- أما تدهور الاقتصاد فهو نتيجة طبيعية لما تقدم من التدهورات ويمكن زيادته باحراق المحاصيل ، واغراق البواخر التجارية واحراق الأسواق وكسر السدود باستيلاء الماء على المزارع وعلى البلاد والقاء السم في المشارب العامة .

١١- ويمكن الهاء الحكام في الفساد والخمر والقمار ، وتبذير الأموال في الأمور الشخصية لكي لا يبقى المال الكافي للسلاح ولأرزاق الجيش .

١٢- ويمكن إشاعة أن الإسلام احتقر المرأة أليس في القرآن (الرجال قوامون على النساء) وأليس في السنة (المرثة شر كلها) .

١٣- أما الوساخة والقنطرة فهي نتيجة طبيعية لشح الماء فاللازم الخيلولة دون زيادة الماء في البلاد بأي اسم كان .
(أما) ما أوصاه الكتاب عن طمس نقاط القوة .
(فقد) أوصى الكتاب :

١- بلزوم احياء النعرات القومية ، والأقليلية واللغوية واللونية وغير ذلك في المسلمين ، كما أوصى بلزوم جلب اهتمام المسلمين إلى سوابق حضارات بلادهم ، وإبطال شخصياتهم قبل الإسلام . كاحياء الفرعونية في مصر ، واحياء الثوية في فارس ، واحياء البابلية في العراق (إلى آخر القائمة الطويلة التي وضعها الكتاب بهذا الشأن) .

٢- كما يلزم اشاعة الأمور الأربعة التالية : الخمر والقمار والبغاء ولحم الخنزير إن جهرأ وان سراً . ثم أوصى الكتاب بلزوم التعاون الوثيق مع اليهود والنصارى والمجوس والصابئة الذين يقطنون في بلاد الإسلام في سبيل احياء هذه الأمور وجعل (مرتب) من خزينة (وزارة المستعمرات) لأجل الموظفين الذين ينشرون هذه الأمور بين المسلمين ،

١٧- وفي أوساطهم كثرة من المنتسبين إلى الرسول (أولاده) فتذكر بالرسول ، ويجعل الرسول حياً في أعينهم .

١٨- وعند أهل الشيعة (الحسينيات) التي تجمعهم في مواسم خاصة فيقوي الواعظ الإيمان في نفوسهم ويحرضهم على العمل الصالح .

١٩- وعندهم يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢٠- وعندهم استحباب الزواج وكثرة النسل وتعدد الأزواج .

٢١- وعندهم أن من هدى انساناً إلى الإسلام كان له خير من أن يملك كل الدنيا .

٢٢- وعندهم أن (من سن سنة حسنة كان له اجرها وأجر من عمل بها) .

٢٣- وعندهم تقييم كبير للقرآن والحديث واتباعها يوجب الجنة والثواب (ثم) أوصى الكتاب بتوسيع نقاط الضعف وطمس نقاط القوة ، وذكر الأدلة الكافية لكيفية ذلك .

يقول الكتاب في ما يمكن ان يعمل من اجل توسيع نقاط الضعف :

١- إن الاختلافات يمكن تكثيرها بتكثير سوء الظن

بين الفئات المتنازعة ونشر الكتب التي تطعن في هذه الفئة . وتلك الفئة ، واللازم بذل المال الكافي في سبيل التخريب والفرقة .

٢- والجهل يمكن ابقائهم عليه بالمنع عن فتح المدارس ونشر الكتب ، وإحراق ما يمكن أحرقه من الكتب ، وصرف الناس عن ادخال أولادهم في المدارس الدينية بتفليق الاتهامات ضد رجال الدين .

٣- ٤- ويمكن ابقائهم في حالة اللاوعي بتزيين الجنة امامهم وانهم غير مكلفين بالحياة الدنيا ، وتوسيع حلقات التصوف ، وترويض الكتب الآمرة بالزهد مثل كتاب (احياء العلوم) للغزالي ، ومنظومات (الثنوي) وكتب (ابن العربي)

٥- ويمكن تقوية دكتاتورية الحكام ببيان (انهم ظل الله في الأرض) وأن ابا بكر وعمر وعثمان وعلياً وبنو امية وبنو العباس كلهم جاءوا إلى الحكم بطريق القوة والسيف وحكموا فردياً (فأبو بكر) جاء إلى الحكم بسيف عمر ، وارهابه ، واحرقه للبيوت التي لم ترضخ للطاعة كبيت فاطمة بنت محمد (وعمر) جاء إلى الحكم بوصية ابي بكر ، وعثمان جاء إلى الحكم بأمر عمر ، وعلي جاء إلى الحكم بانتخاب الثوار له ، ومعاوية جاء إلى الحكم بالسيف ، ثم توارث بنو امية الحكم . والسفاح جاء إلى الحكم بالسيف ، ثم توارث بنو العباس الحكم ... كل ذلك دليل على أن الحكم في الإسلام دكتاتوري .

٦- ويمكن الإبقاء على عدم أمن السبل بالهاء الحكام عن معاقبة اللصوص وتقوية جانب اللصوص واعطائهم السلاح واغرائهم بالعمل المستمر في طريق اللصوصية والاعتشاش

٧- ويمكن الإبقاء على حالتهم اللاصحية بنشر مذهب (القدر) فيهم وأن كل ذلك من الله ، فلا فائدة في العلاج ، ألم يقل الله في القرآن (الذي هو يطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفيني) والم يقل (والذي يميتني ثم يحييني) فالشفاء بيد الله ، والموت بيد الله فلا سبيل للشفاء بدون ارادته ولا مهرب من الموت الذي هو قضاء الله وقدره .

٨- والإبقاء على الجراب واليباب يمكن بما ذكرناه في الحلقة الثالثة والرابعة .

٩- ويمكن الإبقاء على الفوضى ببيان أن الإسلام دين العبادة ولا نظام فيه ولذا لم يكن لمحمد ولا لخلفائه وزراء ولا أنظمة ولا إدارات ولا قوانين .

١٠- أما تدهور الاقتصاد فهو نتيجة طبيعية لما تقدم من التدهورات ويمكن زيادته باحراق المحاصيل ، واغراق البواخر التجارية واحراق الأسواق وكسر السدود باستيلاء الماء على المزارع وعلى البلاد والقاء السم في المشارب العامة .

١١- ويمكن الهاء الحكام في الفساد والخمر والقمار ، وتبذير الأموال في الأمور الشخصية لكي لا يبقى المال الكافي للسلاح ولأرزاق الجيش .

١٢- ويمكن إشاعة أن الإسلام احتقر المرأة أليس في القرآن (الرجال قوامون على النساء) وأليس في السنة (المرثة شر كلها) .

١٣- أما الوساخة والقنطرة فهي نتيجة طبيعية لشح الماء فاللازم الخيلولة دون زيادة الماء في البلاد بأي اسم كان .
(أما) ما أوصاه الكتاب عن طمس نقاط القوة .
(فقد) أوصى الكتاب :

١- بلزوم احياء النعرات القومية ، والأقليلية واللغوية واللونية وغير ذلك في المسلمين ، كما أوصى بلزوم جلب اهتمام المسلمين إلى سوابق حضارات بلادهم ، وابطال شخصياتهم قبل الإسلام . كاحياء الفرعونية في مصر ، واحياء الثوية في فارس ، واحياء البابلية في العراق (إلى آخر القائمة الطويلة التي وضعها الكتاب بهذا الشأن) .

٢- كما يلزم اشاعة الأمور الأربعة التالية : الخمر والقمار والبغاء ولحم الخنزير إن جهرأً وإن سرأً . ثم أوصى الكتاب بلزوم التعاون الوثيق مع اليهود والنصارى والمجوس والصابئة الذين يقطنون في بلاد الإسلام في سبيل احياء هذه الأمور وجعل (مرتب) من خزينة (وزارة المستعمرات) لأجل الموظفين الذين ينشرون هذه الأمور بين المسلمين ،

وجعل جوائز واغراءات لكل من تمكن من ان يوسع
دوائر هذه الأمور الأربعة أكثر فأكثر .. وأوصى الكتاب
بلزوم حماية ممثلي حكومة بريطانيا العظمى لهذه الأمور
علناً وسراً ، وضرورة بذل ما يمكن في سبيل انقاذ كل من
يقع تحت وطأة عقاب المسلمين من الذين ينشرون هذه الأمور
الأربعة .. كما أوصى الكتاب بنشر (الربا) بكل صورة ،
فانه بالإضافة إلى انه هدم للاقتصاد الوطني يوجب تجريم
المسلمين على خرق قوانين القرآن ، ومن خرق قانوناً سهل
عليه خرق سائر القوانين .. وقد أوصى الكتاب انه من اللازم
ان يبين للمسلمين أن الحرام (هو الربا المضاعف) حيث يقول
القرآن (لا تأكلوا الربا اضعافاً مضاعفة) وليس الربا بكل
صورة حراماً .

٣ و ٤ - كما يجب تضييق صلة المسلمين بعلمائهم بإلصاق
التهم بالعلماء وادخال بعض العملاء في زي العلماء ، ثم يرتكبون
الجرائم ليشتبه كل رجل دين عندهم هل انه عالم او عميل .
ومن المؤكد ادخال امثال هؤلاء العملاء في الأزهر - والامتانة)
والنجف . وكره البلاء) ومن طرق تضييق صلة المسلمين بعلمائهم
فتح المدارس لدراسة اطفال المسلمين بواسطة عملاء الوزارة
ليربوا الأطفال على كره العلماء وعلى كره الخليفة وذكر
مساوئه وانه منشغل بالملذات ، وبصرف اموال الشعب في
الفساد والترغيب ، فهو ليس مثل الرسول في أي شأن من الشؤون .

٥ - ويلزم التشكيك في أمر الجهاد ، وانه كان امراً وقتياً
انقضى بانقضاء زمانه .

٦ - ويلزم اخراج فكرة نجاسة (الكفار) عن نفوس
أهل الشيعة ، وبيان أن الله قال في القرآن (طعامكم حل لهم
وطعامهم حل لكم) وأن الرسول كان له زوجة يهودية وهي
صفية وزوجة نصرانية وهي مارية ، ولا يمكن ان تكون
زوجة الرسول نجسة .

٧ - ويلزم ان يعتقد المسلمون أن مقصود الرسول بالإسلام
(الدين) سواء كانت يهودية أو نصرانية لا (المحمدية)
بدليل أن القرآن يسمى كل أهل دين مسلماً ، ففي القرآن
ان (يوسف) النبي قال (توفني مسلماً) وقال ابراهيم
واسماعيل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة
لك) وقال (يعقوب) النبي لبنيه (فلا تموتن إلا وأنتم
مسلمون) .

٨ - وكيف تحرم الكنائس والرسول وخالفائه لم يهدموها ،
بل لإحترامها ، وفي القرآن (ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات) والصوامع للنصارى ،
والبيع لليهود والصلوات للمجوس ، والإسلام يحترم محلات
العبادة لا انه يهدمها ويمنع عنها .

٩ - ويجب التشكيك في حديث (أخرجوا اليهود من
جزيرة العرب) وحديث (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب)

فانه لو كان الحديث صحيحاً ، لم تكن زوجة الرسول يهودية
ونصرانية ، وزوجة الصحابي (طلحة) يهودية ، ولم يفاوض
الرسول نصارى نجران .

١٠- ويلزم صرف المسلمين عن العبادات والتشكيك
في جدواها فان الله غني عن طاعة الناس ، ويلزم المنع اشد
المنع عن الحج ، وعن كل اجتماع بين المسلمين مثل (صلوة
الجماعة) وحضور مجالس الحسين ، والمسيرات الخزينة له ،
كما يلزم المنع اشد المنع عن بناء المساجد والمشاهد ، والكعبة
والحسينيات والمدارس .

١١- ويجب التشكيك في الخمس وانه خاص بالغنائم
المستحصلة من دار الحرب لا في أرباح المكاسب ، ثم الواجب
اعطاء الخمس للنبي أو الامام لا إلى العالم ، بالإضافة الى أن
العلماء يشتركون بأموال الناس الدور والقصور والدواب والبساتين ،
فلا يجوز شرعاً دفع الخمس إليهم .

١٢- واللازم توهين صلة المسلمين بالإسلام بالتشكيك
في العقيدة واتهام الإسلام بأنه دين التخلف والفوضى ، ولذا
تخلفت بلاد الإسلام وكثر فيهم الاضطراب والسرقه .

١٣- والواجب الفصل بين الآباء والأبناء حتى يخرج
الأبناء من تحت تربية الآباء وعند ذلك تكون التربية بأيدينا
نحن وإذا خرجوا عن تربية الآباء لا بد وان ينفصلوا عن
العقيدة وعن التوجيه الديني ، وعن الصلة بالعلماء .

١٤- ويلزم اغراء (المرثة) باخراجها عن العبادة بحجة
أن الحجاب عادة خلفاء بني العباس وليست عادة إسلامية أصيلة ،
ولذا كان الناس يشاهدون نساء الرسول وكانت المرأة تشترك
في كل الشؤون وبعد اخراج المرأة عن العبادة لا بد من اغراء
الشباب بهن ليقع الفساد بينها واللازم ان تخرج النساء غير
المسلمات من العبادة اولاً حتى تقتدى بهن المرأة المسلمة .

١٥- ويجب تحطيم صلاة الجماعة بحجة فسق الامام واطهار
مساوته وبإثارة البغضاء بين الامام وبين الذين يصلون معه بكل
الوسائل والسبل .

١٦- أما المقابر فاللازم هدمها بحجة انها لم تكن في عصر
النبي وانها بدعة كما أن اللازم صرف الناس عن الزيارات
بالتشكيك في كون هذه المقابر الموجودة للنبي والأئمة
والصالحين ، فالنبي دفن عند قبر امه ، وابو بكر وعمر دفنا
في البقيع وعثمان مجهول قبره ، وعلي دفن في البصرة ، أما
في التجف فهو قبر المغيرة بن شعبة والحسين دفن رأسه في
(حنانه) وجسده مجهول القبر ، وفي الكاظمية قبر الخليفين
لا قبر الكاظم والحواد من آل الرسول ، وفي طوس قبر
هارون لا قبر الرضا من أهل البيت ، وفي سامراء قبور بني
العباس لا قبور الهادي والعسكري والمهدي من أهل البيت ،
والبقيع يجب تسويتها مع الأرض كما يجب هدم كل القباب
والأضرحة الموجودة للمسلمين في كل بلادهم .

١٧- أما آل الرسول ، فاللازم الطعن في نسبهم والتشكيك في انتسابهم إلى الرسول واللازم تلبس غير آل الرسول بالعمة السوداء والخضراء ليختلط الأمر على الناس وسيثوا الظن بآل الرسول ، ويشكوا في نسبهم ، كما أن اللازم نزع العائم عن رؤوس رجال الدين والسادة ليضيق نسب آل الرسول ولكي لا يتلقى رجال الدين الاحترام عن الناس .

١٨- والحسينيات يجب هدمها واتهامها بأنها بدعة وضلالة وانها لم تكن في عهد الرسول وخلفائه ، كما يجب منع الناس عن ارتيادها بكل الوسائل ويجب تقليل الخطباء وجعل ضرائب خاصة على الخطابة يدفعها الخطيب وصاحب الحسينية .

١٩- واللازم اشراب الحرية الى نفوس المسلمين فلكل إنسان ما يريد من الأعمال فلا يجب الأمر بالمعروف ، ولا النهي عن المنكر ، ولا تعليم الأحكام ويلزم الالقاء اليهم بأن (عيسى على دينه وموسى على دينه) (وأن احداً لا ينم في قبر احد) وأن الأمر والنهي خاص بالسلطان لا يعم الناس .

٢٠- ويجب تحديد النسل وان لا يتزوج الرجل اكثر من زوجة واحدة ووضع القيود على الزواج مثل انه لا يحق لعربي أن يتزوج فارسية ، وبالعكس ، ولا لتركى ان يتزوج عربية وبالعكس .

٢١- ويجب ان يمنع منعاً باتاً التبشير بالإسلام والهداية إليه وإشاعة أن الإسلام دين قومي ولذا قال القرآن (وإنه لذكر لك ولقومك) .

٢٢- والسنن الحسنة يجب تضييق نطاقها وجعل امرها بيد الدولة حتى انه لا يحق لأحد ان يبني مسجداً او مدرسة او ميتماً او غير ذلك من السنن الحسنة والصدقات الحاربة

٢٣- كما أن اللازم التشكيك في القرآن ونشر قرائن مزيفة فيها زيادات ونقائص بحجة أن القرآن زيد فيه ونقص منه ، ويلزم اسقاط الآيات التي تسب اليهود والنصارى والكفار ، واسقاط آيات الجهاد والأمر بالمعروف وترجمة القرآن إلى اللغات المحلية كالتركية والفارسية والهندية والمنع عن تلاوة القرآن العربي في غير بلاد العرب ، كما يجب منع الأذان والصلاة والدعاء باللغة العربية في غير بلاد العرب وكذلك من الضروري التشكيك في الأحاديث المروية وان يعمل بها كما يعمل بالقرآن من التحريف والترجمة والطعن .

لقد كان رائعاً جداً ما وجدته في هذا الكتاب واسمه (كيف نحطم الإسلام) وكان افضل برنامج عملي في المستقبل ، وقد قال لي السكرتير (حين ارجعت الكتاب اليه وأبدت إعجابي الشديد به) : اعلم انك لست في الميدان وحدك بل هناك جنود مخلصون يعملون نفس عملك والذين جندتهم الوزارة إلى الآن لهذه المهمة اكثر من خمسة آلاف شخص ،

وتفكر الوزارة في ان تزيد عددهم إلى مائة ألف ويوم وصلنا إلى تجنيد هذا العدد ، فإنه هو اليوم الذي نستولي فيه على المسلمين كافة ونكون قد نسفنا الإسلام وبلادته نفساً كاملاً (ثم أردف السكرتير) قائلاً : وإني أبشرك ان اقصى مدة تحتاجها الوزارة لتكميل هذه الخطة هي قرن من الزمان ولولم نصل نحن الى ذلك الزمان فان أبنائنا سوف يرون ذلك بأمر أعينهم وما أروع المثل القائل (غيري زرع فأكلت وانا ازرع حتى يأكل غيري) وإذا تمكنت (سيدة البحار) من نسف الإسلام والاستيلاء على بلاده فقد أرضا العالم المسيحي من أتعاب اثني عشر قرناً كان المسلمون يطاردون ويهاجمون المسيحيين (وقال السكرتير) : ان الحروب الصليبية لم تكن ذات جدوى كما أن (المغول) لم ينفعوا في قلع جذور الإسلام لأن عملهم كان ارتجالاً بدون حكمة وتخطيط وكانوا يعملون أعمالاً عسكرية ظاهرة العدوان ولذا فانهم انحسروا بسرعة (أما الآن) فقد اتجه تفكير القادة من حكومتنا العظمى إلى هدم الإسلام من داخله تحت خطة مدروسة دقيقة وبصبر طويل ونهائي . صحيح انا نحتاج إلى الجسم العسكري أخيراً لكن الجسم العسكري سيأتي في المرحلة الأخيرة حيث نكون أنهكنا بلاد الإسلام وضرربنا الإسلام بالمعاول في كل جوانبه حتى

صار لا يقوى على تجميع قواه ورد الحروب بالمثل (ثم أردف السكرتير ايضاً) ان عظماء الأستانة كانوا على أكبر قدر من الفطنة والذكاء حيث عملوا بنفس الخطة التي قررناها نحن فقد تغلغوا في أوساط المحمديين ففتحوا المدارس لتربية أولادهم وأسسوا الكنائس في اوساطهم ونشروا بينهم الخمر والقمار والدعارة وشككوا شبابهم في دينهم وأثاروا بين حكوماتهم النزاعات وأشعلوا هنا وهناك بينهم الفتن وملأوا بيوت كبارهم بالحسناوات المسيحيات حتى ضعفت شوكتهم وقل تمسكهم بدينهم ووهت وحدتهم والفتهم واذا بالعظماء يشنون عليهم حروباً عسكرية خاطفة فينقلع الإسلام عن جذوره في تلك البلاد .

٧

أطلعني السكرتير على السر الثاني الذي وعدني به وكنت متلهفاً له خصوصاً بعد ان ذقت طعم السر الأول ولم يكن السر الثاني إلا وثيقة في خمسين صفحة تتعرض للخطط الرامية إلى تحطيم الإسلام والمسلمين خلال قرن واحد ، حتى يكون الإسلام خيراً بعد حقيقة ، والوثيقة كانت موجهة إلى الرؤساء العاملين العاملين في حقل الوزارة ، لأجل هذا الشأن ، وهي

كانت مركبة من بنود اربعة عشر، وقد حذرت الوثيقة من افشائها وأمرت بكتمتها أشد الكتمان لكي لا يطلع عليها المسلمون فيأخذون الخطط المضادة، وحاصل الوثيقة هو:

١- التعاون الأكيد مع قياصرة روسيا للاستيلاء على المنطقة الإسلامية من بخارى، وتاجكستان، وارمينيا، وخراسان وما والاها، وهكذا التعاون الأكيد معهم في الاستيلاء على أطراف بلاد الترك المحاذة لروسيا.

٢- التعاون الأكيد مع فرنسا وروسيا في وضع خطة شاملة لتحطيم العالم الإسلامي من الداخل والخارج.

٣- إثارة النزاعات والخلافات الشديدة بين الدولتين التركية والفارسية واذكاء نار الطائفية والعرقية بين الجانيين، وإشعال النزاعات بين كل متجاورين من القبائل والشعوب الإسلامية، وكذلك بين البلاد الإسلامية وإحياء المذاهب الدينية حتى البائدة منها، وإثارة النزاعات بينها.

٤- اعطاء قطع من البلاد الإسلامية بيد غير المسلمين (فاولاً) يثرب لليهود (وثانياً) الاسكندرية للمسيحيين (وثالثاً) يزد للزرادشت البارسيين (ورابعاً) عمارة للصائبة (وخامساً) كرمانشاه للذين يؤمنون علي بن ابي طالب (وسادساً) الموصل لليزيدية (وسابعاً) خليج فارس للهندوك بعد ان يستوردوا كميات كبيرة من الهند (وثامناً) طرابلس للبروز (وتاسعاً) قارض للعلويين (وعاشراً) مسقط للخوراج.

(ثم) اللازم تقوية هؤلاء بالمال والسلاح والخطط والخبرة لتكون هذه الفئات اشواكاً في جسم الإسلام ثم توسيع بلادها حتى تحطم كل البلاد الإسلامية.

٥- التخطيط لتبضيع حكومتي الإسلام التركية والپارسية الى اكبر عدد ممكن من الحكومات المحلية الصغيرة المتنازعة كما هو الحال الآن في الهند، انطلاقاً من قاعدة (فرق تسد) (وفرقت تحطم).

٦- زرع الأديان والمذاهب المزيفة في جسم بلاد الإسلام واللازم لذلك تخطيط دقيق بحيث يلائم كل دين من تلك الأديان مع هوى جمع من أهل البلاد (مثلاً) اللازم زرع اربعة اديان في جسم بلاد الشيعة، دين يولته الحسين بن علي، ودين يعبد جعفر الصادق، ودين يعبد المهدي الموعود، ودين يعبد علي الرضا، والمكان المناسب للأول (كربلاء) والثاني (اصفهان) ولثالث (سامراء) وللرابع (خراسان) كما أن اللازم جعل المذاهب الأربعة السنية ادياناً مستقلة لا ارتباط بعضها ببعض وإعادة الخلافات الدموية بينها، والدرس في كتبها حتى يرى كل فئة منهم أنهم المسلمون فقط، وان ما عداهم كفار يجب قتلهم وإبادتهم.

٧- نشر الفساد بين المسلمين بالزنا، واللواط، والخمر، والقمار، وأفضل وسيلة لذلك هم أصحاب الأديان السابقة الباقية في هذه البلاد، فاللازم ان يكون منهم جيش كثيف لهذه الغاية.

٨ - الاهتمام لزراعة الحكام الفاسدين في البلاد بحيث يكونون آلة بيد الوزارة يأتمرون بأوامرها وينتهون عن زواجها ، والضروري تسريب مآربنا عبرهم إلى البلاد وإلى المسلمين ، وإن أمكن أن يكون الحاكم غير مسلم واقعاً فهو المفضل ، وعليه فمن الضروري ادخال أفراد في الإسلام صورة ثم ابصالحهم إلى مراكز الحكم لتطبيق المآرب بواسطتهم .

٩ - منع اللغة العربية حسب الامكان ، وتوسيع اللغات غير العربية مثل (السنسكريتية) و (البارسية) و (الكردية) و (البشتو) واحياء اللغات الأصلية الدائرة في البلاد العربية ، وتوسيع نطاق اللهجات المحلية المتفرعة عن العربية ، والتي توجب قطع العرب عن اللغة الفصحى التي هي لغة القرآن والسنة .

١٠ - زرع العملاء حول الحكام و ابصالحهم إلى رتبة المستشارين لهم حتى يتسنى للوزارة النفوذ فيهم عبر المستشارين ، ومن أفضل السبل لذلك العبيد والحواري ذووا الكفاءات العالية فاللازم تربية اولئك في الوزارة ثم بيعهم في أسواق النخاسة إلى المقربين من الحكام ، كأولاد الحكام ، وزوجاتهم ، وذوي الرأي لديهم حتى يتقربوا إلى الحكام تدريجاً ، ويكونوا بعد ذلك أمهات الحكام ومستشاريهم فيحيطوا بهم كالسوار بالمعصم .

١١ - توسيع نطاق التبشير بادخال المبشرين في كل صنف

خصوصاً الحاسبين والأطباء والمهندسين ومن اليهم وزرع الكنائس والمدارس ، والمصححات ودور الكتب ، والجمعيات الخيرية في عرض بلاد الإسلام وطولها ونشر ملايين الكتب المسيحية في اوساط المسلمين مجاناً وبلا عوض والاهتمام لوضع التاريخ المسيحي إلى جنب التاريخ الإسلامي ، وزرع الحواسيس والعملاء في الأديرة والصوامع باسم الرهبان والراهبات مهمتهم تسهيل الاتصالات والتحركات المسيحية واستطلاع حركات المسلمين وأوضاعهم وشؤونهم (كما) أن اللازم تكوين جيش كثيف من العلماء من اجل تشويه تاريخ المسلمين والدس في كتبهم بعد الاطلاع الكامل على أحوالهم وأوضاعهم .

١٢ - تبيع شباب المسلمين بنات واولاداً وتشكيكهم في دينهم وتفسيد اخلاقهم عن طريق المدارس والكتب والنوادي والنشرات والأصدقاء من غير المسلمين الذين يهينون لهذا الشأن ، فمن الضروري تكوين جمعيات سرية من شباب اليهود والنصارى وغيرها من أجل أن يكونوا مصائد لصيد شباب المسلمين بكل الطرق .

١٣ - اشعال الحروب والثورات الداخلية ، والحدودية بين المسلمين وغير المسلمين ، وبين المسلمين انفسهم على طول الزمان لتستنفد قوى المسلمين وتشغلهم عن التفكير في التقدم ، وتوحيد الصف ، ولتستنزف طاقتهم الفكرية ومواردهم المالية

وتفني شبابهم وذوي النشاط منهم وتنشر الفوضى والارباك والشعب فيهم .

١٤- تحطيم كل أنواع اقتصادياتهم من مزارع ومعاش وتهديم السدود وطمس الأهر والسعي لتفتيت البطالة فيهم بتفجيرهم عن العمل ، وفتح محلات للبطالة وتكثير مستعملي (الافيون) وسائر المواد المخدرة .

وقد كانت هذه البنود مشروحة شرحاً وافياً ، ومزودة بالخرائط والصور والأشكال .

شكرت السكرتير على تزويده لي بصورة من هذه الوثيقة وبقيت في لندن مدة شهر آخر حتى أتتنا أوامر الوزارة بالتوجه الى العراق مرة اخرى ، لتكميل الشوط مع (محمد الوهاب) وقد أمرني السكرتير بأن لا أفرط في حقه مقداراً ذرة حيث قال (انه حصل من مختلف التقارير الواردة اليه من العملاء أن الشيخ افضل شخص يمكن الاعتماد عليه ليكون مطيبة لمآرب الوزارة) .

ثم قال السكرتير : تكلم مع الشيخ بصراحة وقال ان عميلنا في اصفهان تكلم معه بصراحة وقبل الشيخ العرض على شرط ان نحفظه من الحكومات والعلماء الذين لا بد وان يهاجموه بكافة السبل حينما يبدي آرائه وأفكاره وان يزوده بالمال الكافي والسلاح اذا اقتضى الأمر ذلك ، وان نجعل له امانة ولو

صغيرة في أطراف بلاده (نجده) وقد قبلت الوزارة كل ذلك .

لقد كدت أخرج عن جلدي من شدة الفرح بهذا النبأ ، ثم قلت للسكرتير : إذن فما هو العمل الآن ؟ وماذا أكلف الشيخ ، ومن اين ابدء (قال) السكرتير لقد وضعت الوزارة خطة دقيقة لأن ينقذها الشيخ وهي :

١- تكفير كل المسلمين وإباحة قتلهم وسلب أموالهم وهتك اعراضهم وبيعهم في اسواق النخاسة ، وحماية جعلهم عبيداً ونسائهم جوارى .

٢- هدم الكعبة باسم أنها آثار وثنية ان امكن ومنع الناس عن الحج وإغراء القبائل بسلب الحجاج وقتلهم .

٣- السعي لخلع طاعة الخليفة ، والإغراء لمحاربتة وتجهيز الحيوش لذلك ، ومن اللازم ايضاً محاربة (أشراف الحجاز) بكل الوسائل الممكنة ، والتقليل من نفوذهم .

٤- هدم القباب والأضرحة والأماكن المقدسة عند المسلمين في مكة والمدينة وسائر البلاد التي يمكنه ذلك فيها باسم أنها وثنية وشرك والاستهانة بشخصية النبي (محمد) وخلفائه ورجال الإسلام عما يتيسر .

٥- نشر الفوضى والارهاب في البلاد حسب ما يمكنه ذلك .

٦ - نشر قرآن فيه التعديل الذي ثبت في الأحاديث من
زيادة وتقيصة .

قال السكرتير لي بعدما بين البرنامج المذكور : لايهولتك
هذا البرنامج الضخم فان الواجب علينا ان نبذر البذرة وسنأتي
الأجيال الآتية ليكملوا المسيرة ، وقد اعتادت حكومة بريطانيا
العظمى على النفس الطويل ، والسير خطوة خطوة ، وهل
(محمد) النبي إلا رجل واحد تمكن من ذلك الانقلاب المذهل ؟
فليكن (محمد عبد الوهاب) مثل نبيته (محمد) ليتمكن من
هذا الانقلاب المنشود .

بعد ايام استأذنت الوزير والسكرتير ، وودعت الأهل
والأصدقاء ، وحين اردت الخروج قال ولدي الصغير : بابا
ارجع بسرعة فانهمرت عيناى ، ولم اتمكن اخفاء ذلك عن
زوجتي ، وقبلتها وقبلتي قبلات حارة ، وخرجت قاصداً
نحو البصرة ، وبعد سفرة مضية وصلت اليها ليلاً وذهبت
لملى دار (عبد الرضا) وكان نائماً ، ولما رأني رحب بي
واستقبلني استقبالا حاراً ونمت هناك حتى الصباح وقال لي :
ان الشيخ محمد رجع الى البصرة ثم سافر واودع عنده كتاباً
موجهاً اليك ، وفي الصباح قرأت الكتاب واذا به يخبرني فيه
انه سافر الى نجد ، وقد ذكر عنوان محله في (نجد) فسافرت
في الصباح ميمماً وجهة نجد ووصلتها بعد مشقة بالغة وجدت
الشيخ محمد في داره ، وقد ظهرت عليه آثار الضعف فلم

ابح له بشيء ثم تبين لي فيما بعد انه تزوج وانه ينهك قواه
مع زوجته ، فنصحته بالاقلاع فسمع كلامي ، وقد صار
القرار ان اجعل نفسي عبداً له قد اشتراه من السوق وأن العبد
الآن جاء من السفر ، وهكذا كان ، فشهر عند اصدقائه اني
عبده اشتراه من البصرة وانه كان في سفر امره بذلك السفر
وانه جاء الآن ، وتلقاني الناس بهذا الاسم وبقيت عنده سنتين
وهيأنا الترتيب اللازم لاطهار الدعوة . وفي سنة (١١٤٣)
هجرية قويت عزيمته وقد جمع أنصاراً لا بأس بهم فأظهر
الدعوة بكلمات مبهمة والفاظ مجملية لأخص خواصه ، ثم
جعل يوسع رقعة الدعوة ، والفتت انا حوله عصابة شديدة
المراس زودناهم بالمال وكنت أشد عزيمتهم كل ما أصابهم
خوف من اجل مهاجمة اعدائه له ، وكلما أظهر الدعوة أكثر
صار اعدائه أكثر ، وأحياناً كان يريد التراجع من ضغط
بعض الاشاعات ضده ، لكني كنت اشد من عزيمته ، وأقول
له : ان (محمد النبي) رأى أكثر من ذلك وأن هذا هو طريق
المجد وأن كل مصلح لا بد وان يتلقى العنت والارهاق .

وهكذا كنا مع الأعداء بين الكر والفر وقد وضعت على
اعداء الشيخ جواسيس شريتهم بالمال ، فكلما أرادوا اثاره
فتنة اخبرنا الجواسيس بقصدهم فتمكن من قلب الخطة ،
وذات مرة اخبرت ان بعض اعدائه أرادوا اغتياله فوضعت
الترتيبات اللازمة لافشال الخطة ، ولما ظهر قصد اعدائه بارادتهم

اغتيال الشيخ انقلب الخطة عليهم وأخذ الناس ينفرون منهم

لقد وعدني (الشيخ) بتنفيذ كل الخطة السادسة الا انه قال : انه لا يتمكن في الحال الحاضر إلا على الاجهار ببعضها وهكذا كان ، وقد استبعد الشيخ ان يقدر على (هدم الكعبة) عند الاستيلاء عليها ، كما لم يبح عند الناس بأنها وثنية وكذلك استبعد قدرته على صياغة قرآن جديد وكان اشد خوفه من السلطة في (مكة) وفي (الاستانة) وكان يقول : إذا أظهرنا هذين الأمرين لا بد وان يجهز الينا جيوش لا قبل لنا بها ، وقبلت منه العذر لأن الأجواء لم تكن مهيئة كما قال الشيخ .

بعد سنوات من العمل تمكنت الوزارة من جلب (محمد بن سعود) إلى جانبنا فأرسلوا إلي رسولا يبين لي ذلك ويظهر وجوب التعاون بين (المحمديين) فمن محمد الوهاب الدين ، ومن محمد السعود السلطة ، ليستولوا على قلوب الناس واجسادهم فان التاريخ قد اثبت أن الحكومات الدينية أكثر دواماً وأشد نفوذاً وارهب جانباً .

وهكذا كان وبذلك قوى جانبنا قوة كبيرة وقد اتخذنا (الدرعية) عاصمة للحكم (والدين الحديد) وكانت الوزارة تزود الحكومة الحديدية سرّاً بالمال الكافي كما اشترت الحكومة الحديدية في الظاهر عدة من العبيد كانوا من خيرة ضباط الوزارة الذين دربوا على اللغة العربية والحروب الصحراوية فكنت انا واياهم (وعدددهم احد عشر) نتعاون بوضع الخطط

اللازمة ، وكان (المحمدان) يسيران على ما نضع لهما من الخطط ، وكثيراً ما نتناقش الامر مناقشة موضوعية اذا لم يكن امر خاص من الوزارة .

وقد تزوجنا جميعاً من بنات العشائر ، وقد اعجبنا باخلاص المرأة المسلمة لزوجها وبذلك اشتبكت أواصر الصلة بيننا وبين العشائر أكثر فاكثر والامر الآن يسير من حسن الى أحسن ، والمركزية تتقوى يوماً بعد يوم واذا لم تقع كارثة مفاجئة فقد بتدت البذرة الصالحة لأن تنمو وتنمو حتى تؤتي الثمار المطلوبة .

١٩٧٣ / ١ / ٢